

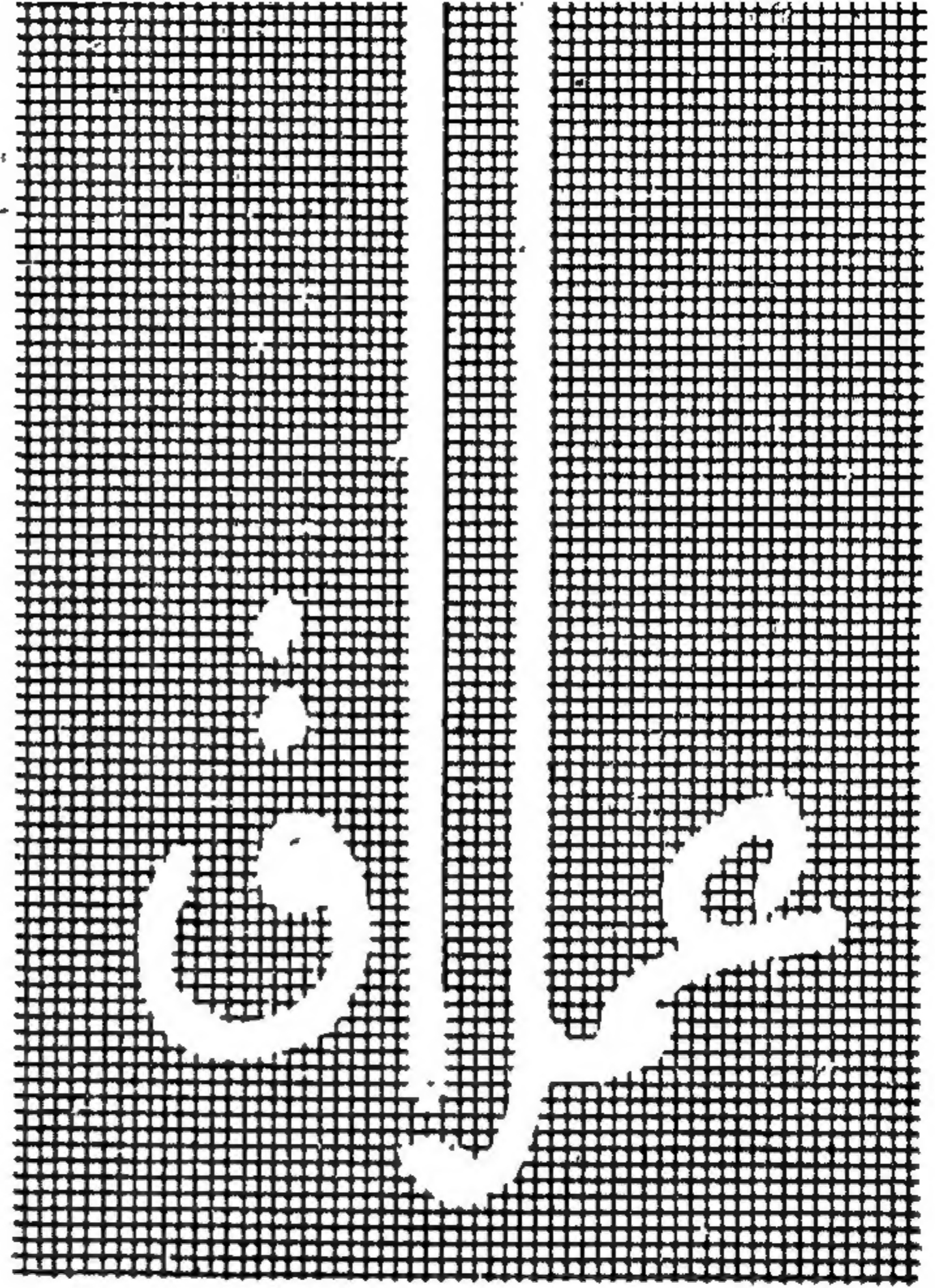
# من بنی مر

بیت  
سليمان مظهر

کتاب فومینه





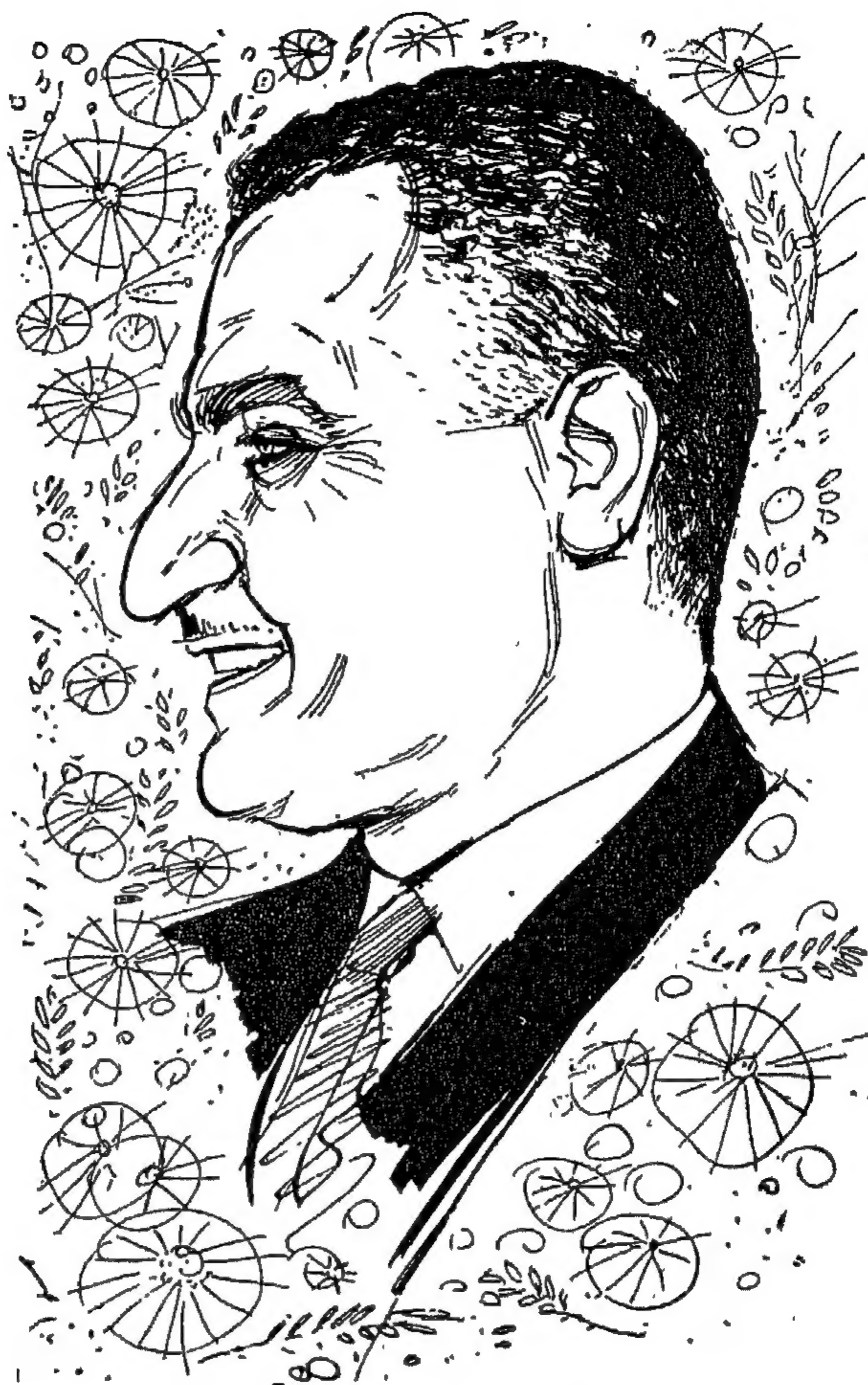


من بنی مر

بیت  
سلیمان مظهر

کتاب فومیہ





---

هذا العلاف





عندما استيقظ شعبنا في صبيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كانت كلماته الاولى وهو يرى طلائع الثورة ، عن البطل الذي قاد هذه الثورة الفدائية العاصفة التي فاجأت اعداءها كما فاجأت اصدقاءها .. فاجأت الاقطاعيين واسرة محمد علي والمستعمرين ، كما فاجأت الملايين من أبناء شعبنا حين ذاك ..

لماذا فوجيء الجميع ؟ ..

لان اعداء الشعب كانوا في اوج قوتهم ، يحكمون البلاد بالحديد والنار وحظر التجول .. ولان الشعب كان بلا قيادة سياسية حقيقية .. لقد تفسخت مؤسساته السياسية الحزبية التي قادته في انتفاضات سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٥ وما بينهما من معارك ضد الملك والاستعمار ..

وفي ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان الشعب يقف وحده .. وكان زعماء اكبر احزابه يصطافون في اوربا .. وفجأة استيقظ الشعب فوجد ان طبيعته الثورية قد نزلت الى الشارع واعلنت الثورة ثم خلعت الملك ، وضربت الاقطاع ..

والبطل الذي قاد هذه الثورة ظل بعيدا عن الاضواء .. لسبب بسيط ، هو من صميم طبيعة هذا البطل الذي صنع الثورة وقادها ..

ففي صميم طبيعة هذا البطل ، فدائية لا تبحث عن جائزة لأعمالها الفدائية ..

وعندما أبرزت التطورات الثورية بطل الثورة على رأس الصفوف ، ظل البطل محتفظا بطبيعته الاصيلية : فدائيا ، يفدى شعبه ووطنه ، ولا يبحث عن جائزة للفداء ..

هذه الروح الثورية الجوهرية في كيان جمال عبد الناصر ، هي التي وجهت الاحداث خلال الاعوام العشرة الماضية ، بحيث ننظر الآن الى الشوط الذي قطعناه تحت قيادته ، وكأننا ننظر من قمة جبل شاهق الى سفح سهيق !

والذى نراه من القبة التى ننظر الآن من فوقها ، لا يمكن أن نصدقها  
الا اذا تذكرنا دائما طبيعة الرائد الذى زحف بنا من السفح الى القمة ،  
وقادنا عبر المسالك الوعرة ، وتخطى بنا الاشواك والعقبات ، ورسم لنا  
الخطط الناجحة للصعود المستمر .. الصعود بلا انقطاع من سفح اليأس  
والجمود ، الى قمة الامل العريض والحركة الوثابة التى يهز هديرها  
الدنيا كلها .

ورحلتنا وراء عملاق بنى مر خلال السنوات العشر الماضية ، كانت  
رحلة فى طريق تكتنفه ظلمات المجهول .. ولم يكن الطريق معروف المعالم  
حتى للرائد البطل نفسه ، ولكنه كان مؤمنا بأننا لا بد أن نسير فى هذا  
الطريق ، لأنه البديل الوحيد لطريق اليأس والخيبة والدمار الذى كان  
المستعمر وأذنا به يقسرون شعبنا على السير فيه ..

والآن .. لم يعد سرا ان جمال عبد الناصر عندما قاد الثورة فى  
فجر ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كان يفكر فقط فى وجوب قيام الثورة  
كرد شعبى ثورى على الطغيان والاستعمار والاقطاع ..

ان طبيعة عبد الناصر كفدائى ثائر ، فتحت له باب الثورة ، فاندفع  
فيه مع رفاقه الباسلين ، ليعلن ارادة الشعب فى الثورة على أعدائه ..

ولكن تفجير الثورة هو الخطوة الاولى .. فماذا تكون الخطوة الثانية !  
هذا هو السؤال الذى طرحته الاحداث الثورية على قائد ثورة  
٢٣ يوليو ..

وكان لا بد له من الاجابة عنه ، لأن الثورة ليست خلع نظام واحلال  
نظام آخر فى مكانه .. ليست الثورة انقلابا ، بل تعبيرا عميقا عن ارادة  
الشعب الثورية ورغبته التاريخية فى تحويل طريقة حياته ، والتخلص  
من الآفات الاجتماعية والسياسية وغيرها من الآفات التى توارثتها أجياله  
المتعاقبة ألوف السنين !

وبنفس الطبيعة الفدائية ، أقبل جمال عبد الناصر على واجبه الجديد  
بعد قيام الثورة ..

لم يعد زهده فى الاضواء هو المحور الذى يمكن أن تدور حوله  
الثورة لتنجح .. لان كل أضواء الثورة ستعرض للانطفاء اذا تخلى عنها  
بطلها الذى انبعثت منه شرارة الضوء ..

وعندما جلس عبد الناصر فى كرسى الحكم ، لم يكن حاكما ، بل  
كان هو نفسه الفدائى الذى اقتضته واجباته كفدائى أن يجلس على هذا  
الكرسى ..

ثم انقضت عشر سنوات .. ولم يعد أحد يتصور الآن ان جمال  
عبد الناصر شخصية حاكمة كهذه الشخصيات التى تحكم دول العالم ..  
لأن عبد الناصر أصبح خلال هذه السنوات رمزا تاريخيا ورائدا وصاحب  
فلسفة سياسية واجتماعية وقومية ..

\*\*\*



لقد واجهت ثورتنا بقيادة جمال عبد الناصر موقفا داخليا معينا ، يرتبط بموقف خارجي .

ولم يبحث جمال عبد الناصر في صفحات الكتب عن نظريات جاهزة تهديه سواء السبيل في موقفه داخليا وخارجيا . . لأن ظروف بلادنا الخاصة ، جعلت البحث عن نظريات جاهزة ضربا من العنث لا يمكن أن يحل مشكلاتنا . . وهكذا أصبح واجبا على جمال عبد الناصر أن يكتشف خلال النشاط العملي لثورتنا كل الطرق التي تؤدي الى النجاح . .

ومن خلال العمل المتواصل ، تراكمت التجارب الصحيحة لدى جمال عبد الناصر ، وظهرت معالم طريقنا الخاص بنا في موقفنا الداخلي والخارجي . .

وأصبحت لبلادنا بفضل تجاربها الخاصة ، خبرة بمعالجة مشكلاتها بنفسها ، طبقا لحاجاتها ومبادئها وأهدافها . . وانبثقت من خلال تجاربنا الثورية ، نظرياتنا الثورية الخاصة . . وهذا هو السبب الرئيسي في أننا لا نحتاج الى نظريات أجنبية من الغرب أو الشرق لتطبيقها في بلادنا . .

الا ان استخلاصنا لنظرياتنا الثورية الخاصة من تجاربنا الثورية المتوالية ، لم يكن أبدا انغلاقا قوميا متعصبا يرفض الاستئثار بتجارب الآخرين ونظرياتهم ، بل كان مجرد ادراك منا للاختلاف الجذري بين مشكلاتنا ومشكلات غيرنا . . وقد ساقنا هذا الاختلاف الجذري الى البحث عن حل خاص لمشكلاتنا الخاصة .

وبفضل عبقرية جمال عبد الناصر في استخلاص النظرية الثورية من العمل الثوري . . تكاملت لثورتنا بمرور الوقت فلسفتها الخاصة ، التي تتمثل داخليا في النظام الاشتراكي الديمقراطي التعاوني . . وتتمثل قوميا في الوحدة العربية كتعبير عن الارادة التاريخية للقومية العربية . . أما في العلاقات الخارجية فتتمثل في سياسة عدم الانحياز كتعبير عن الرغبة في التعاون الدولي الحر ، بلا انحياز الى كتلة معينة من الكتلتين الكبيرتين اللتين تتنازعان العالم الآن .

ولم تكن عبقرية جمال عبد الناصر تعمل وحدها في هذا المجال . . بل كانت تعمل معها ارادته الحديدية . . . ارادة الفدائي الذي لا يجلس في كرسى الحكم بعقلية الحاكم وروحه ، بل بعقلية الفدائي وروحه وارادته .

لقد كانت المغريات التي أحاطت بعبد الناصر كثيرة جدا . وكلها كانت تهدف الى تحويله عن الطريق الصحيح الذي اكتشفه بنفسه لبلاده واستخلص له نظريات العمل ، من خلال العمل نفسه . ففي الداخل كانت القوى القديمة المنضوية تحت لواء الاقطاع والرأسمالية الاحتكارية، تتصور أن عبد الناصر يمكن أن يقنع بتحقيق بعض شعارات ثورته دون أن يمس المصالح الجوهرية للاقطاع والرأسمالية الاحتكارية .

وهنا برزت الارادة الحديدية الى جانب عبقرية عبد الناصر لتحبط



كل آمال الاقطاع والاحتكار الرأسمالى .. فرضت ارادة عبد الناصر باعتبارها تعبيراً عن ارادة الشعب ، خط السير الصحيح فى الداخل .. وتوالت ضرباته للاقطاع والاحتكار الرأسمالى .

والآن .. ماذا نرى فى بلادنا .

نرى أننا نعيش فى ظل اشتراكية عربية خالصة منبثقة من واقعنا الحى .. اشتراكية نضع أسسها لبنة فوق لبنة .. يشيدها جمال عبد الناصر قائدنا الثورى بقرارات يصدرها بين الحين والحين ، ترسم لنا معالم الطريق ، وتدفع مجتمعا الى مرحلة جديدة كل يوم فى تحقيق الاشتراكية . واذا كانت قد صدرت قرارات كثيرة حتى الآن فلا تزال هناك خطوط أخرى كثيرة طويلة . لان طريق الاشتراكية طويل . وعبد الناصر بارادته الحديدية التى تعمل مع عبقريته الثورية ، مصمم على أن يحقق ارادة شعبنا فى بناء المجتمع الاشتراكى السليم .

وهكذا فشلت أحلام الاقطاع والاحتكار الرأسمالى فى توهين ارادة بطلنا للسير بنا نحو الاشتراكية التى رفعها البطل شعارا اجتماعيا من شعارات الثورة .

وفى مجالات العمل الثورى الأخرى داخل وطننا يمكن أن نجد مئات الأمثلة من هذا القبيل ، وكلها تدل على أن عبد الناصر الفدائى الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو قد اكتشف الطريق الصحيح لبلاده . من خلال التجارب الثورية المتوالية ، ولا توجد الآن قوة مهما بلغت ضخامتها تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير فى الطريق الصحيح .

\*\*\*

وماذا عن الموقف الثورى الذى يتخذه جمال عبد الناصر ازاء العالم المحيط بنا .

ان هذا الموقف امتداد لموقفه الداخلى ولا يمكنه أن ينفصل عنه .. فقد اكتشف جمال عبد الناصر خلال تجاربه الثورية أن لبلادنا وضعها الخاص بها .. فهى لا تستطيع أن تزج بنفسها فى غمار الحرب الباردة لأن ذلك سيعرقل تطورها فى الداخل ، ويخرجها من التبعية للاستعمار - كما كانت فى العهد الملكى - الى السير فى ركاب تبعية من نوع جديد ..

وعندما اكتملت فكرة الحياد الايجابى لدى جمال عبد الناصر ، ذهب بها الى مؤتمر باندونج التاريخى .. ثم أصبح الحياد الايجابى وعمد الانحياز سياسة خارجية لنا ترتبط أشد الارتباط بما يجرى داخل بلادنا من تحولات ثورية عاصفة ..

وقد أصبح واضحا لشعبنا الآن أن الانحياز سيفضى بنا الى التخلي عن طريقنا الثورى فى الداخل .. لأن الانحياز الى الغرب ، سيتبعه الانحياز الى طريقته فى الحياة ، أى فى التنظيم السياسى والاجتماعى ،



فيرتح الاقطاع ورأس المال والساسة المجترفون في بلادنا ، ليدمروا كل ما شيدناه بعرقنا ودمائنا لجيلنا وللأجيال القادمة ..

أما الانحياز الى الشرق ، فسيتبعه الانحياز الى طريقتة في الحياة كذلك .. وقد برهنت الحياة نفسها على أن بلادنا لا يمكن أن تعيش فيها الا طريقة حياتها الخاصة المستمدة من مثلها العليا وأهدافها القومية الثورية ..

ولكن عدم الانحياز لا يعنى موقفا سلبيا تتخذه بلادنا حيال مايجرى حولها في العالم .. لأن ما يجرى في العالم يهم بلادنا مباشرة ، لسبب بديهي ، وهي أنها جزء من هذا العالم تتأثر بما يجرى فيه ..

وقد انتفتت السلبية تماما عن موقفنا الخارجى بمئات البراهين .. فنحن نتخذ في قضية السلام العالمى موقفا صلبا يستند الى مبادئ راسخة ، وقد شهد العالم كله كفاحنا المستميت في سبيل تدعيم السلام العالمى ومحاربة القوى التى تحاول تحطيمه ..

وقد ساهم انتصارنا على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ في تدعيم السلام العالمى وتقليم أظافر القوى الساعية لتعكير الامن الدولى ..

وعندما أرسلنا قواتنا الى الكونغو ، كنا نهدف الى المساهمة في إبعاد الحرب الباردة عن هذا البلد الأفريقى الناهض .

وكان التفاؤنا بأشقائنا الأفريقيين في العمل المشترك من أجل تدعيم الاستقلال للدول الأفريقية الناشئة ، عملا كبيرا لتدعيم السلام العالمى ، بإبعاد الحرب الباردة عن القارة الأفريقية ..

وهذه المواقف كلها ، التزمها عبد الناصر كقائد ورئيس لبلادنا ، لا لأسباب عاطفية - مع توافر هذه الأسباب - ولكن لأسباب موضوعية بحثة تتعلق بمصالح بلادنا ومصالح الشعوب الأخرى .. الشقيقة ، وغير الشقيقة ..

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نفهم موقف التأييد القوي الذى كان لعبد الناصر ازاء ثورة كوبا عندما هوجمت بالسلاح .. وكانت برقية عبد الناصر الى كاسترو تحمل كل المعانى الاساسية لموقف بلادنا حيال قضية السلام العالمى .. هذا الموقف الثابت الذى لا يفرق بين بلد وبلد ، وبين قارة وقارة ..

وعلى هذا الاساس أيضا نستطيع أن نفهم جانبا من موقفنا ازاء اسرائيل ..

فاذا نحننا جانبا كل الاعتبارات القومية والحقوق الشرعية الخاصة بعرب فلسطين .. وجدنا ان موقفنا من اسرائيل سيظل كما هو الآن ، لأن اسرائيل بؤرة للحرب في منطقتنا ، ومعسكر مسلح يخدم مصالح القوى المعادية للسلام العالمى .. ولهذا تقف بلادنا بالمرصاد لاسرائيل ، ولا تغفل عن مؤامراتها لحظة واحدة ، لان التسامح مع اسرائيل ، سيقضى

بنا في النهاية الى التسامح مع أعداء السلام العالمى أنفسهم ، ثم تسليم قضية السلام العالمى لخصومها الالقاء ، يعيثون بها كيفما شاءوا ، ويعرضون أرواح الملايين فى العالم كله للدمار فى الحرب الذرية ..

وهكذا أصبح موقف عبد الناصر الخارجى ، يتمثل فى عدم الانحياز كسياسة ثابتة لابعاد بلادنا عن الحرب الباردة ، ولتخفيف الحرب الباردة نفسها على المستوى الدولى ، وتدعيم السلام العالمى ، وتوطيد الصداقة والتعاون مع جميع الشعوب على قدم المساواة ..

وهذا هو الطريق الصحيح الذى اكتشفه جمال عبد الناصر لسياستنا الخارجية ، وهو طريق معبد يمتد فى موازاة طريقنا الداخلى ويلتقى به فى عدة مواضع ..

وكما لا توجد هناك قوة تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير فى طريقه الداخلى الذى اكتشفه لبلادنا ، فإنه لا توجد أيضا قوة فى العالم تستطيع أن تصرفه عن السير فى الطريق الخارجى الذى يتفق تماما ومصلحة بلادنا ، ومصلحة منطقتنا ، ومصلحة السلام العالمى كله ..

وقد كان جمال عبد الناصر واثقا بنفسه تماما عندما دعم علاقات بلاده التجارية وغيرها مع المعسكر الشرقى .. ولما ثارت الأكاذيب فى البلاد الغربية ضد عبد الناصر تهمه بالانحياز الى الشرق لم يابه لها ، ومضى واثقا بنفسه فى طريق الصداقة مع جميع الدول والشعوب ..

والآن .. ماذا عسى أن يقول أولئك الذين أسرفوا فى القاء الاتهامات جزافا على طريق عبد الناصر الخارجى ؟

لقد أصبح كل شيء واضحا الآن .. وأيقن كل الناس ، من أصدقاء وأعداء ، ان طريق عبد الناصر الخارجى ، كان طريق بلاده الخاص ، وقد مضى فيه بلا انحراف .. وما يزال يمضى .. ولن يزال ..

\*\*\*

وفى الطريق الى القومية العربية ، مضى بنا جمال عبد الناصر ، كما مضى فى طريق المجتمع الاشتراكى وعدم الانحياز ..

وكان طريق القومية العربية أيضا يحتاج الى من يكتشفه على حقيقته ليسير فيه شعبنا الذى طال انقطاعه عن أشقائه العرب فى مشرقهم ومغربهم ..

ومرة أخرى ، لم يلجأ عبد الناصر الى النظريات الموضوعة عن القوميات لكى يستخلص منها موقفه وموقف شعبنا من قضية القومية العربية .. بل استطاع أن يستخلص من تجارب النضال العربى فلسفة القومية العربية ومنهاج الوحدة العربية ..

واكتشف عبد الناصر خلال النضال العربى الذى قاده ، أن الوحدة



المنشودة بين أجزاء الوطن العربى لا يمكن أن تجيء قسرا ، ولا يمكن أن تتحقق عن طريق حربى كما تحققت وحدة ألمانيا وإيطاليا مثلا فى القرن التاسع عشر .

واكتشف عبد الناصر فى القومية العربية طبيعتها الاجتماعية الثورية ، فهى ليست مجرد انضواء تحت راية واحدة وحكومة واحدة ، بل هى أسلوب ثورى لتحويل المجتمع العربى من مجتمع متخلف اقطاعى الى مجتمع متقدم صناعى ترفرف عليه العبدالة الاجتماعية المتمثلة فى الاشتراكية العربية .

واكتشف عبد الناصر ان القومية العربية هى بطبيعتها معادية للاستعمار ، ولا يمكن أن تلتقى معه ، بل ولا يمكن أن تحقق أهدافها الا بنضال لا هوادة فيه ضد الاستعمار وعملائه .

وهكذا تكاملت بالتدريج نظرية القومية العربية من خلال النشاط الثورى الذى قاده جمال عبد الناصر لتحقيقها . وأصبحت لها جاذبية جماهيرية لا يمكن اغفالها فى أى مكان من الوطن العربى الكبير ، مهما كانت طبيعة الحكومات القائمة هناك .

وقد استطاعت هذه النظرية أن تفند كل الحجج الزائفة التى يتذرع بها بعض الحكام العرب لضم أجزاء من البلاد العربية اليهم . عن طريق القوة .

فان محاولة ضم الكويت الى العراق ، أو محاولة ضم جزء من صحراء الجزائر الى تونس ، هما محاولتان تتعارضان مع طبيعة النضال العربى الذى يستهدف توحيد البلاد العربية ، عن طريق الاقناع والاجماع ، لا عن طريق الفتوح العسكرية .

وفى مواجهة أعداء القومية العربية ، لا يمكن للعرب أن يحرزوا النصر النهائى ، الا بالسعى الدائب للتضامن العربى ، باعتباره طريقا الى وحدة العرب .

ولو كانت الامة العربية قد سارت الآن فى طريق الوحدة الى حد كاف ، لما استطاع الاستعمار الفرنسى أن يبقى فى الجزائر ، ولما استطاعت اسرائيل أن تبقى فى فلسطين ، ولاسترد العرب قطع الارض السيلبية ، فى أطراف سنورية - كالاسكندرونة - وفى أطراف العراق - كعربستان - وفى أطراف المغرب - كموريتانيا - وفى كل مكان آخر من بلاد العرب الفسيحة .

## وبعد ..

فان البطل الذى قاد الثورة فى صبيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بروج فدائى لا ينتظر جائزة الفداء ، ما زال يقود هذه الثورة بعد أن شقت طرقها الثلاثة الكبرى : المجتمع الاشتراكى ، والقومية العربية ، وعدم الانحياز .

وقد تكاملت نظريتنا الثورية الآن ، وما زالت تكسب جديدا كل

يوم ، بفضل هذا الرجل المتواضع الذي يعمل ليل نهار كما يعمل  
الفدائيون ..

وفي عيد الثورة العاشر ، ينحني التاريخ اجلالا لاعمال عبد الناصر  
الثورية ، ولكن عبد الناصر يظل كما كان دائما .. فدائيا منكرا لذاته ..  
يعمل .. ويكتشف الحقائق خلال العمل ويعطي العمل الجديد كل الحقائق  
التي اكتشفها خلال العمل القديم .. ومن خلال هذه الحقائق كلها تبرز  
حقيقة الثورة الكبرى التي قادها عبد الناصر وسيظل يقودها الى اعظم  
الغايات ، وأبعد الاهداف ..

تحية للثورة .. ثورة كل العرب ..  
وتحية لبطلها .. بطل جميع العرب ..





من أجل  
اشتراكية  
عربية  
خالصة







.. أبى .. لماذا نأكل اللحم ، والفلاحون الذين يرعون الماشية ويربونها لا يأكلونه .. ؟

وكان السؤال مفاجئا للموظف النازح من بنى مر ، وهو يسمعه لأول مرة من بين شفتى ولده الذى لم يتجاوز الثامنة بعد .

والجق ان أكثر الفلاحين ما كانوا يأكلون اللحم على الاطلاق .. ولا كان يفعل ذلك أحد آخر من أفراد أسر القرية التى كانت تمضى بها الحياة ، تماما كما تمضى بالعشرات والمئات من الاسر التى كانت تعيش لتعمل من أجل أن يتخم الآخرون .. من العاطلين الذين ورثوا البطالة مع الثروة عن آبائهم وأجدادهم ليبغثوا نتاج العرق والجهد الذى يبذله الفلاحون ، فى دور اللهو والرقص .. والمواخير ..

غير ان الرجل كان يعلم أن ولده على حق وانه كان يمكن أن يكون واحدا من هؤلاء الذين يعيشون تحت سلطان الورثة العاطلين لولا انه استطاع أن يرتفع بنفسه وعائلته عندما حصل على وظيفة فى الاسكندرية .. بعيدا عن القرية ..

ولم يعرف الرجل الطيب كيف يجيب ولده .. أما الولد نفسه فقد عرف بعد ذلك بسنوات كيف يجيب على السؤال الذى ظل يدوز فى رأسه كدوامه منذ ذلك اليوم ، حين استطاع أن يحقق بنفسه قانون الاصلاح الزراعى وأن يسلم بيده شهادات التمليك للفلاحين الذين كانوا كما مهملا .. ثم أصبحوا على يد فلاح بنى مر هم السادة أصحاب هذه الأرض ..

والذين عاشوا الأيام الذليلة التى شهدتها مصر ، حين كان أصحاب الكروش البارزة هم وحدهم أصحاب كل شيء ، ثم عاشوا الأيام البيض التى شهدتها مصر وهى تنفض عن نفسها ادران حكم فاسد سيطر على قدراتها لسنوات رهيبة طويلة .. هؤلاء يستطيعون أن يدركوا حقيقة المعجزة التى انبثقت عنها أرض بنى مر .. المعجزة التى ظل أبناء هذا الشعب يرفعون أكفهم كل يوم الى السماء من أجل أن تحدث .. وهم يهتفون ويتضرعون : يا رب .. هل من معجزة .. هل من بطل يا رب !

ومن أعماق هذا الشعب جاءت المعجزة .. وانبثق بطل عملاق عرف  
كيف يزيح الكابوس الرابض على الانفاس .. ويضرب الضربة التي كان  
يجب أن تحدث قبل ذلك بسنوات طوال .. يوم وقف قائد آخر ..  
عملاق .. وفلاح أيضا .. يريد أن يستخلص حقوق الشعب من بين  
أنياب أسرة فاسدة ألقت بنفسها في أحضان المستعمرين .. وصرخ  
عميدها عندما سمع طلبات الشعب من فم أحد أبناء الشعب .. كل هذه  
الطلبات لا حق لكم فيها .. وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي  
وأجدادي .. وما انتم الا عبيد احساننا ..

وكانت هذه الصورة مثيرة حقا .. صورة أن تكون مصر ضيعة  
تباع وتشتري ويتصرف أصحاب الكروشن الضخمة في أصحابها الأصليين  
من الفلاحين وكأنهم العبيد ..

وانتفض عرابي وهو يهتف : لقد خلقنا الله أحرارا .. ولم يخلقنا  
تراثا وعقارا .. فوالله الذي لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد  
بعد اليوم ! ..

على أن «عرابي» .. وان فشل في تحقيق حلمه بسبب سلسلة من  
الحيانات والاحقار والندالات التي كانت تسيطر على بعض الرؤوس ..  
لم ينس عملاق بني مر هذا الحلم .. بل ظل يذكره ، حتى وقف ذات  
يوم .. بعد أن تفرض يديه من الطغاة - يعلنها في الناس قوية راعدة :  
« اذا قلت اننى أشعر بشعوركم ، فلأن قلبى من قلبكم ودمى من دمكم ،  
واحساسى من احساسكم .. ولأول مرة فى تاريخ مصر استطاعت فئة من  
أبناء مصر أن تشعر شعورا متحدا قويا ، وأن تقيم على أرض مصر حكما  
من أبناء مصر .. »

\*\*\*

وفى الحق .. أن سر عبد الناصر .. يكمن فى هذه الكلمات  
القليلة .. الصافية ..

فهو واحد من أبناء الشعب .. تبلورت فى قلبه وعقله وضميره ،  
صورة صادقة للحقيقة حياة هذا الشعب ..

وكان جمال يعيش فى أعماق الصورة .. نفسها ..

وكانت الصورة فى الحقيقة رهيبة .. مخزية .. فالشعب ، يجثم  
على أنفاسه أذنان الاستعمار بكامل قذاراتهم ودنياههم ، والمجتمع عامر  
بالظلم الاجتماعى لا يدع فرصة لمصرى ليملأ رئتيه بالهواء النقي ..

والفساد والرشوة والنفاق هى العملة التى تتعامل بها كل الطبقات ،  
والديكتاتورية الزائفة هى التى يغطى بها الجميع دكتاتورية الاستعمار  
والسرائى ..

وعاش عبد الناصر وفي الإجماع منه احساس بما يعيش فيه الشعب . احساس ربما لم يدرك كنهه جيدا الا بعد أول ضربة هبطت على رأسه من عصا غليظة تفجر لها الدم وهو بعد لا يزال في الثالثة عشرة . .

وكانت الضربة اصابة واحدة من بين ضربات أخرى كثيرة أصابت زملاء الذين اشتركوا معه في مظاهرة الاسكندرية التي خرجت نهتسف بسقوط الاستعمار وأذنا به بعد أن ألغى اسماعيل صدقي الدستور ، وأرسل زبانيته ليخنقوا صيحات الحرية في حلق المصريين .

فهناك في ميدان المنشية بالاسكندرية . . كان جمال يرفع عقيرته الصغيرة بحياة مصر حين أقبل لوريان مليتان برجال البوليس انهالوا على التلاميذ الصغار بهراواتهم الثقيلة . وبدأ الطلبة يتفرقون في دعر ، وفجأة ، رفع أحد رجال البوليس هراوته وضرب بها الصبي الصغير ، ولم يكد الفتى يقع على الأرض وهو يرفع يديه في محاولة لحماية رأسه حتى تقدم رجلان آخران من رجال البوليس ورفعاه عن أرض الشارع في ضراوة ، على حين انهال ثالثهم عليه بالضرب مرة أخرى . وتدفق الدم ساخنا من رأس جمال . .

وعندما عاد جمال الى المدرسة كانت الضمادات فوق رأسه وشاح شرف له بين زملائه . . وكانت جراح رأسه جزءا من تربيته السياسية التي تلقاها وهو بعد طالب صغير ، ليشرع منذ ذلك اليوم في المشاركة في الحركات السياسية واحدة بعد أخرى . . وليس له من هدف غير تحرير مصر من النفوذ الأجنبي . . ونفوذ الحكام من أذنان الأجنبي . .

والحق . . ان النفوذ المزدوج الذي كان يسيطر على قدرات مصر كان أثقل من أن يحتمله شعب مصر . . فهنا حكام اعتقدوا أنهم أصحاب كل شيء . . وراحوا يملصون والخطافين ينهبون ويسرقون ويفعلون كل سييء وخبيث . أما كل الشعب . . فقد أظلمت الدنيا أمامه ، وهو لا يرى من حوله سوى الفقر والمذلة والهوان والضياع . .

وهنا مستعمرون ، كل بضاعتهم أنهم استطاعوا أن يستولوا على بعض النفوس الدنيئة . . ومنجوا أصحابها المال ، والمناصب ، والسلطة ، والنفوذ ليستطيعوا أن ينفذوا من خلالهم الى أعماق الشعب ليطفئوا فيه جذوة الحرية ، والنور . . والحياة ! . .

وخلال هذا وذاك . . كان على الشعب أن يعيش ، وأن يحتمل ، وأن يصبر ، في انتظار المنقذ الذي يعطى ولا يأخذ . . والذي يستطيع أن يلغي المبدأ القديم الذي يقول : كل شيء لي . . ولو على حساب الآخرين . . وأن يضع بدله هدفا جديدا يقول : كل شيء للآخرين . . ولو على حسابي . .

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . . حدثت المعجزة . .

وقاد جمال ثورة الملايين . . ثورة الشعب كله . . ثورة الفلاحين والعمال والطلبة والموظفين والتسجار . . ثورة كل فرد كانت تظله أرض مصر . .



وكان قيام جمال بالثورة معجزة .. معجزة وصفها هو نفسه حين قال :

« لقد قامت الثورة ورتبت في جو من الفساد والرشوة .. وفي وقت يصعب أن تقوم فيه ثورة ، فقد كانوا يغرون كل الطوائف بالمال ، وبالرشوة .. ولكننا نحن رجال الجيش .. كنا نفكر في الشعب . كنا نقارن دائما بين السير مع الشعب وفقراء الشعب .. والسير مع الشرفاء المزعومين .. فاثرتنا أن نسير مع الشعب في سبيل أهداف الشعب .. لرفع مستوى الشعب »

وقام الجيش بالثورة .. وكانت بواعث الثورة في نفوس رجاله هي البواعث نفسها في نفوس كل أبناء هذا الشعب .. انها ذلك الضيم الذي كان الشعب يشرب كأسه حتى الثمالة صباح مساء على أيدي فئة من الاعداء والدخلاء عليه ..

انها ذلك الفقر الاسود الذي اجتاح أغلبية الشعب بغلظة لا ترحم ، لحساب فئة من المترفين لم يتقنوا في الحياة شيئا كما اتقنوا امتصاص الدماء ..

انها ذلك الخوف المقيت الذي سيطر على الناس الى الحد الذي جعلهم يكادون يخشون التحدث حتى الى أنفسهم ، لكيلا تلمحهم من عيون الطغاة عين ، أو تسمعهم من آذانهم اذن !

انها ذلك الضعف أو الاستضعاف الذي طوى الشعب طيا ، وجعله لا يكاد يصدق تاريخه القديم ، ولا يكاد يثق بحاضره ، ولا يكاد يكون له في مستقبله أمل معروف .. !

والحق ، أن كل ذلك ، كان يوحد بين كل القلوب .. وكان هو نفسه الذي جعل الرداء العسكري الذي يرتديه رجال الجيش ليس أكثر من مجرد رداء اختارته الظروف لهم ، كما اختارت للعامل بدلته الزرقاء ، وكما اختارت للفلاح جلبابه الازرق أيضا .. وربما كانت هذه الأزياء تفرق بينهم .. ولكنها تفرقة لا تعدو المظهر ، لا تعدو ذلك الرداء الذي يغطي الاجسام .. أما النفوس ، والمشاعر ، والارواح ، والآلام ، والآمال .. فكلها واحدة .. كلها نبتت حين نبت الجميع من هذه الارض الطيبة .. وكلها ترعرت حين ترعرت الجميع فوقها .. وكلها توحدت حين وحدت بين الجميع مياه النيل الخالد الذي ندين له بالحياة ..

ومن هنا نجحت ثورة جمال .. بل نجحت ثورة كل الشعب ..

وانطلقت الثورة في طريقها .. وعملاق بني مر يعمل من أجل تحقيق أمجاد لهذا الشعب .. أمجاد كافح من أجلها الشعب سنوات وسنوات لكي يحقق لنفسه الحرية الحقيقية ، والديمقراطية الحقيقية ، والعدالة .. العدالة التي خذلوه وحطموه وأذلوه لكي يعجز عن الوصول اليها .

بالعرق ، والدم ، والكفاح .. راح العملاق يحرز لوطنه انتصارا  
تلو انتصار .. ومفخرة بعد مفخرة .. كل واحدة منها كانت تكفى لجيل  
من الاجيال ، لكى يفخر بها على مر الزمن وكر السنين ..  
وتوالت الامجاد ..

طرد الطاغية ، وقضى على الاقطاع ، وأممت القناة ، وهزمت الدول  
العظمى ، وقضى على احتكار السلاح ، وتحققت الوحدة ، وانشى جيش  
قوى .. وأصبحت القومية العربية حقيقة وإقعة ..

غير أن الطريق الى كل هذه الامجاد كان شاقا طويلا رهيبا .. عامرا  
بالمتعاب والاشواك والصعاب .. وكان من الممكن أن تقف بعض هذه المتاعب  
والاشواك والصعاب فى وجه أى زعيم فى أى مرحلة من مراحل الجهاد ..  
ولكن جمال .. كان رجلا غير كل الرجال ، عملاقا غير كل العمالقة ،  
معجزة غير كل المعجزات ..

كان انسانا مؤمنا .. يعرف طريقه  
كان مؤمنا بمصريته .. فعمل على أن يكون كل مصرى فخورا  
بمصريته ، معتزا بها ، حريصا عليها ..

وكان مؤمنا بعروبيته .. فبذل جهده ليرفع شعار القومية العربية ،  
ويمد يد العون لشعوب الوطن الكبير فى كفاحها ضد الاستعمار ، وضد  
الطغيان ، وضد الفساد ..

وكان مؤمنا بوحدة وطنه .. فجهد ليوحد صفوفه ، فى جبهة متحدة  
تضم كل الطبقات وكل الناس .. وكل شعوب العرب ..

وكان مؤمنا بالسلام .. فعمل من أجل صداقة الشعوب ، فى آسيا  
وأفريقيا ، ومحبة السلام فى أوربا .. ونجحت باندونج ، ونجحت أكرا ،  
ونجحت بريونى ..

أما قبل ذلك كله .. فقد كان عبد الناصر مؤمنا بربه .. وبوطنه ..  
وبنفسه ..

وبهذا الايمان كله .. ارتفع عبد الناصر .. ارتفع السياسى ..  
الناظر .. الفتى .. المؤمن .. فلاح بنى مر .. ليصبح علما من أعلام  
الكفاح الحر فى كل هذا العالم الكبير ..

بهذا الايمان .. حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه .. ولبلاده ..  
والتاريخ الذى يفتح عينيه جيدا ، هو الذى سيتحدث على الدوام  
عن معجزات ذلك الايمان ..



بهذا الايمان .. حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه .. ولبلاده ..

ولعل الاشتراكية العربية التي أرسى قواعدها وأقام دعائمها ووضع فلسفتها جمال عبد الناصر إحدى هذه المعجزات .

وكان لابد من أجل أن يحقق عبد الناصر هذه المعجزة أن يقود البلاد في معركة اجتماعية هائلة واسعة النطاق .

وكانت المعركة الاجتماعية هي وحدها إحدى المعجزات .

فالمعركة الاجتماعية التي يقودنا فيها عبد الناصر الآن ، هي امتداد لمعاركنا الوطنية ضد الاستعمار . . بل انهما معركة واحدة ذات مرحلتين احدهما مرحلة الكفاح ضد الاستغلال الذي يمارسه المصريون والمتمصرون في مصر .

والقاعدة التي يسير عليها الاستعمار في نضاله من أجل البقاء ، هي القاعدة التي يسير عليها نفسها المستغلون الجشعون . . ان الاستغلال مثل الاستعمار ، لا يتخلى عن مسرح التاريخ ولا يفسح مكانه الا تحت ضغط قوة لا يستطيع أن يقهرها .

وتؤدي قيادتنا بزعامة عبد الناصر ، في معركتنا للتحرر الاجتماعي الدور الذي أدته في معركتنا للتحرر الوطني . . .

في الماضي كان زعماء الاحزاب لا يفكرون في المساس بشيبر من الاراضي الواسعة التي يضع الاقطاعيون أيديهم عليها ظلماً وعدواناً .

ولم يكن السياسة والحكام يفكرون في تقليص أظافر الاستغلال الرأسمالي الذي يعتصر دماء شعبنا ويكس الثروات الهائلة في أيدي عدد قليل جداً من المغامرين والوارثين .

وكان ذلك طبيعياً تماماً ، لان السياسة والزعماء القدماء ، كانوا هم أنفسهم من الاقطاعيين والرأسماليين أو كانوا ممن ترتبط مصالحهم بالقطاعيين والرأسماليين فضلاً عن الاستعماريين .

ولهذا كانت أعلى مراحل الكفاح الاجتماعي التي قادها زعماء الاحزاب تتمثل في مشروع «كمشروع» الحفاة» . . أو «مشروع البر» . . وما الى ذلك من المشروعات الوهمية التي لا هدف لها الا تخدير الشعب وإيهامه بأن هناك إصلاحاً اجتماعياً . . .

وقد نادت القيادات القديمة ، خلال صيحاتها الانتخابية ، بمحاربة الفقر والجهل والمرض . . ولكن ماذا حدث بعد تلك الصيحات . . لقد تفاقمت مشكلات الفقر والجهل والمرض ، واشتدت ضراوة الاقطاع ورأس المال الاحتكاري ، وازدادت قوة التحالف بين الرجعية المحلية وبين الاستعمار العالمي . . .

وعندما قامت الثورة في ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وجدت أمامها كل هذه المشكلات التي تخلفت عن الصيحات الانتخابية الجوفاء ، فقامت الثورة بأول عمل صحيح للقضاء على الفقر والجهل والمرض ، ونعني به قانون الإصلاح الزراعي .



ولقد كان قانون الاصلاح الزراعى هو البداية فقط ، لأنه لم يكن غير المغفول أن تقلم الثورة براثن الاقطاع ، ثم تترك مخالف رأس المال الاحتكارى ناشبة فى عنق الشعب .

وهكذا صدرت القوانين الاشتراكية فى يوليو سنة ١٩٦١ لتفجر الثروة الاجتماعية ، كما تفجرت الثورة الوطنية من قبل .

ومضى عبد الناصر يقود الشعب فى طريق ثورته الاجتماعية . . . ثورة الاشتراكية العربية المنبثقة من أعماق شعبنا العربى . ليكتب مرحلة جديدة فى تاريخ هذا الشعب .

وأول كلمة فى المرحلة التاريخية الجديدة التى يقودنا الى ساحاتها الكبيرة رائدنا وزعيمنا جمال عبد الناصر ، هى « العروبة » .

ان العروبة هى الكلمة المقترنة بكل شئ يجرى فى حياتنا . . فاشتراكيئنا ليست مجرد اشتراكية . . ان لها صفة لازمة لا تنفصل عنها ، هى أنها اشتراكية عربية .

وبإعطاء اشتراكيئنا صفتها العربية ، نستعيد كل ملامح قوميتنا العربية التى حاول المستعمر طويلا أن يجردنا منها ، ان أول شئ يفعله المستعمر عندما يحتل بلدا هو أن يجرد شعبه ، أو يحاول أن يجرده من شخصيته القومية .

وقد فعل الاستعمار كل ما فى وسعه ليجرد شعبنا من قوميته . . وشعبنا الذى نعينه هنا ، هو شعبنا الكبير فى الوطن العربى لا شعبنا الغربى فى مصر فقط .

وقد تحمل الشعب العربى فى مصر نصيبا ضخما من محاولات الاستعمار لتجريد العرب من شخصيتهم . .

فقد قضى الاستعمار العثمانى مثلا أربعمئة سنة يحاول أن يجعل مصر مجرد « إيالة » عثمانية مقطوعة الصلة بماضيها العربى العريق .

وكما فعل الاستعمار العثمانى فى مصر ، فعل فى العراق وسوريا وليبيا والجزيرة العربية وكل بلد عربى احتله العثمانيون .

ولكن التاريخ اكتسح الاستعمار العثمانى ، وألقى به فى سلة مهملاته ، وأتاح للشخصية العربية أن ترفع رأسها ، وتسترد طابعها ، وتنفض عنها غبار القرون الأربعة الطوال التى جرت خلالها محاولات « تترك » العرب وخاصة المصريين . . أى تحويلهم من عرب الى أتراك .

والذين هبوا أخيرا يحملون على مصر ويشككون فى كفاحها العربى . . وخاصة أولئك المجرمين الذين يرمون مصر بأنها « فرعونية » ، ويفصلونها بهذا الادعاء الباطل عن كفاحها ذاتة . . كفاحها من أجل الحفاظ على شخصيتها العربية فى مواجهة الاحتلال العثمانى ثم الاحتلال الفرنسى . . والاحتلال البريطانى . . وقد استغرقت هذه الفترات الثلاث قرابة خمسمئة عام .

وأخيرا .. جاءت الاشتراكية العربية التي وضع أسسها جمال عبد الناصر فبرهن بدليل رائع لا يمكن دحضه على أن الشخصية العربية، كانت دائما محور كل نضال وطني أو اجتماعي في مصر .. وأن الشخصية العربية ستظل الى الابد محور كل نضال في مصر في المجالين السياسى والاجتماعى .

وعندما وضع عبد الناصر أساس هذه الاشتراكية الجديدة وصفها منذ أول لحظة بأنها اشتراكية عربية .. فما معنى هذا الوصف ؟

ان معناه بسيط ولكنّه عميق .. فأما بساطته ، فمؤداها ان بناء المجتمع العربى الجديد الذى نواجه به متطلبات النصف الثانى من القرن العشرين وما يليه من أجيال .. هذا البناء عربى صميم لا تقلد به بناء يقوم فى بلد أجنبى ..

وأما العمق الذى ينطوى عليه ، فمؤداه أن الشعب العربى لم يشأ أن يسلك طريقا سهلا فيستورد نظاما ويطبقه ، بل أراد أن يكتشف بنفسه القوانين الموضوعية لتطور كيانه القومى والسياسى والاجتماعى ثم يقيم مجتمعا عربيا خالصا ، تظلله العدالة والكفاية فى ضوء هذه القوانين الموضوعية .

ومن هنا بدأ المجتمع الجديد الذى حققه الرائد العربى فى ازالة استغلال الانسان للانسان .. لأن المضمون الاجتماعى للقومية العربية لا يتضمن استغلال عربى لعربى ، ولا يقر استغلال طبقة عربية لطبقة أخرى .. فالمضمون الاجتماعى العربى فى أقصى مداه ، وهو المساواة التامة ، ستفرضها تطورات التاريخ برغم كل الارادات البشرية التى تحاول أن تعرقل هذه التطورات الحتمية .

ولكن بناء الاشتراكية العربية ليس معناه أننا نتنكر للتراث الانسانى الكبير ، فليست العروبة تعصبا قوميا أعمى ، بل هى تعاون مع كل القوميات الأخرى ، والاستفادة من تجاربها الناجحة .. والاضافة الى هذه التجارب الناجحة تجارب عربية لا تقل عنها نجاحا ..

وهناك قاعدة علمية لا ينكرها الآن أحد وهى أن كل الشعوب ستصل الى الاشتراكية . ولكن الوصول الى الاشتراكية سيتم بعدة طرق لا بطريقة واحدة .

ان كل شعب سيصل الى الاشتراكية بأصالته القومية وتراثه وبدون أن يفرض عليه أحد طريقا أجنبيا للاشتراكية .

والآن .. ماذا نرى ؟ .. اننا نرى الاشتراكية فى الهند تسلك طريقا غير الطريق الذى سلكته فى الصين ، وتسلك فى الصين غير الطريق الذى تسلكه فى غينيا أو فى غانا ، أو فى كوبا أو فى الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية أو فى بعض دول بحر البلطيق كالسويد .

ان الظروف الواقعية الصلبة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند بناء

**الاشتراكية .. وهذا ما يمنح التجربة الاشتراكية التي أرساها عبد الناصر أهمية فائقة .. لأنها تعكس شعبنا .. بشخصيته العربية الخالصة ..**

وهذا هو بالضبط ما عناه عبد الناصر من قوله ان « العروبة » اول كلمة في تجربتنا الاشتراكية ، لأنه لا يمكن فصل هذه الكلمة بأى جال عن تجربتنا الاجتماعية الاشتراكية .. اذ أن اشتراكيتنا هي المضمون الاجتماعى للقومية العربية كما ثبت لنا خلال نضالنا القومى بالذات .

وقد كافح شعبنا فى مصر دهرا طويلا بكل قوة وصلابة ، وقاوم المستعمرين الوافدين عليه من تركيا أو فرنسا أو بريطانيا حتى انتصر عليهم .

وفى خلال كفاحنا ضد الاستعمار البريطانى كانت الأوضـاع الاجتماعية فى بلادنا قد أخذت شكلا جديدا غير الشكل القديم الذى كانت عليه خلال كفاحنا ضد الاستعمار العثمانى .

لقد ظهرت فى عهد الاحتلال البريطانى زعامات الطبقة الوسطى أو « البورجوازية » كما يسمونها فى أوربا .. وقادت هذه الزعامات أحزابا مختلفة كانت تنادى بالاستقلال والحرية ولكن هذه الزعامات والأحزاب افلست بالتدريج خلال كفاح سبعين سنة ضد الاستعمار البريطانى .

ولم تنشأ فى مصر قيادة شعبية تنتمى الى العمال والفلاحين والمثقفين وفئات الشعب الفقيرة الكادحة ... ولهذا حدثت فى النهاية أزمة كبيرة فى النضال الوطنى وركبت الحركة الوطنية ولم يعد ثمة أمل واضح للخروج من هذه الأزمة الا بانبثاق قيادة جديدة تماما .. قيادة شعبية تمسك بيديها زمام الحركة الوطنية وتربطها برغبة الشعب فى العدالة الاجتماعية .. وحقه فيها .

وفى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ بزغت هذه القيادة المنشودة .. وفجرت الثورة الكبرى ضد الاستبداد الملكى والاقطاع والاستعمار . واستطاعت القيادة الثورية أن تعكس فى ثورتها كل الشروط الخاصة بالحركات الشعبية الصميمة .. بل كانت هذه القيادة الوطنية سبب مباشر فى اندفاع تاريخ بلادنا بسرعة أكبر بكثير من السرعة التى كان مفروضا أن يمضى بها فى اتجاه الأمانى الشعبية .

ولهذا السبب أجاطت جماهير الشعب قيادتها الوطنية بكل تأييدها وأصبح عبد الناصر قائدا ورائدا للشعب معبرا عن أمانيه

وامتزج النضال فى سبيل الجلاء والحرية امتزاجا تاما بالكفاح الاجتماعى من أجل العدالة الاجتماعية ورفعت الثورة التى تزعمها رائد الشعب منذ البداية ، شعار « منع سيطرة رأس المال على الحكم » . ولم يكن ذلك مجرد شعار بل كان سياسة صلبة سارت عليها الثورة بكل حزم مع سياستها الجازمة الأخرى ضد الاقطاع .

وهكذا راح عبد الناصر يرسى دعائم معجزة جديدة الى جانب معجزات أخرى كثيرة ..



وبزعامة جمال عبد الناصر التي أهدتها الأقدار إلى شعبنا بعد انتظار طويل ، انتصر شعبنا في معركة الوطنية ، وطرد المستعمرين من منطقة القناة ، ومن بورسعيد ..

وبزعامة جمال عبد الناصر انتصر شعبنا في معركة الاجتماعية ، وأصبح الشعب سنييد نفسه ، وصاحب مصيره وبدأ يبني مجتمعه الاشتراكي الثوري الجديد على الأسس الصحيحة للاشتراكية النابعة من حاجات شعبنا وظروفه وأهدافه

وقد استطاعت قيادة عبد الناصر أن تحقق لشعبنا انتصاره الاجتماعي ، لأن عبد الناصر رجل من الشعب وإلى الشعب .. وليس له أدنى مصلحة تربطه بمصالح مستثمري الشعب من الأقطاعيين وجبابرة رأس المال والاستغلال الاحتكاري

ولأن جمال عبد الناصر رجل من الشعب .. انتصر شعبنا بزعامته ، في معركة ضد المستعمرين أعداء الشعب أيضا .. وسيظل شعبنا يحرز الانتصارات الكبرى تحت زعامة جمال عبد الناصر ، حتى يملأ صفحات التاريخ ..

# المعركة عند الاستعمار

---







لم تكن قيادة عبد الناصر .. قيادة محلية فحسب .. بل كانت قيادة عرفت كيف ترسم الطريق لكل شعوب افريقية .. والشعوب الأخرى التي تهدف الى التحرر من نير الاستعمار ....

ومن أجل ذلك حارب الاستعمار تلك القيادة المتحررة حرباً شعواء .. بلغت القمة عندما بدأ العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ..

ففي ذلك العام جلت قوات الاحتلال عن بلادنا لأول مرة منذ سنة ١٨٨٢ .. ثم عادت ومعها قوات احتلال جديدة يدفعها عدوان بربرى ، وحقد دموى على القيادة الوطنية التي أمسكت بزمام الأمور في بلادنا بعد أن إطال غيابها عن مسرح الحوادث خلال عهد الاحتلال البريطاني الحالكم المديد ..

ولكن القيادة الوطنية استطاعت أن تصمد للعدوان الاستعماري الثلاثي ، ولم تتخل عن مكانها الذي وضعتها فيه أعمق التطورات التاريخية في حياة شعبنا وحياة الشعوب كلها في العصر الحديث ..

ومن هنا بالذات نستطيع أن ننظر الى معركة بور سعيد ، على أنها معركة القيادة الوطنية للشعب العربي وقد أجايت الحوادث فيها على هذا السؤال :

- هل تبقى القيادة الوطنية على رأس الشعب العربي أو تستسلم للاستعمار وتخلي مكانها لقيادات غير وطنية تنفذ توجيهات المستعمرين والصهيونيين ؟

أجابت حوادث سنة ١٩٥٦ المدوية على هذا السؤال ، بطريقة فذة : فان الشعب هو الذي قال لأعداء قيادته الوطنية : « ستبقى قيادتي الوطنية » ومن أجل هذه الكلمات الثلاث المقدسة حمل الشعب السلاح واستشهد من رجاله ونسائه وأطفاله الكثيرون حتى فرض ارادته ، وخرج من معركته ضد المستعمرين والصهيونيين ، وعلى رأسه قيادته الوطنية التي فتحت له أبواب الجهاد ضد هذه القوى الشريرة المعادية لحريته وتقدمه ووحدته ..

ان القيادة الوطنية للشعب العربي هي احدى المسائل العويصة التي طرحها عليه تاريخه الطويل . . فليس الشعب العربي بضعة ملايين من البشر في رقعة صغيرة من الأرض وانما هو أمة كبيرة تمتد أراضيها في قارتين ، وتطل على جيران كثيرين ، وتتفاعل مع ظروف مختلفة شديدة التعقيد .

وقد استطاع شعبنا أن يحل مسألة القيادة الوطنية في ظروف كفاحه الذي امتد مئات السنين . . وكلما امتد الكفاح أصبح دور القيادة الوطنية حيويًا في مصير شعبنا ولم يعد دورها محليًا لان الشعب العربي استيقظ لوحده ، وتنبه لمجتمعه القومي العادل الذي لابد من بنائه . . وفي معركة العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ كان شعبنا يعرف جيدا أن العدوان يستهدف تدمير قيادته الوطنية كما يستهدف تدمير حريته واستقلاله . ولم يكن العدوان يستطيع أن ينفذ هدفه الا بتنفيذ الهدف الآخر . . فان الاستقلال والحرية لا يمكن تدميرهما ما بقيت القيادية الوطنية ممسكة بزمام الأمور ولا يمكن كذلك أن يمس الاستعماريون مركز القيادة الوطنية مادام بلدنا حرا مستقلا . ولهذا خبر الاستعمار معركة الشرق العربي كله عندما خسر معركة بور سعيد ، لأن الشعب العربي خرج من هذه المعركة وقد سجل انتصاره الذي يتضمن بوضوح رائع انتصار قيادته . . وكانت هذه هي الخيبة الكبرى لأحلام الاستعماريين والصهيونيين كما كانت هي الانطلاقة الكبرى لشعبنا الظافر في ظل قيادته الوطنية البطاهرة . .

والواقع أن الاستعمار أذهله أن تظهر في الأمة العربية قيادة تعمل في سبيل تحقيق نفس الأهداف التي يحاول الاستعماريون منع الأمة العربية من تحقيقها . فالقيادة الوطنية للأمة العربية الممثلة في الرئيس جمال عبد الناصر قد طردت غملاء الاستعمار عن كراسي الحكم في القاهرة منذ ثماني سنوات . . ومنذ ذلك اليوم بدأ واضحا أن القيادة الوطنية في الشرق العربي قد ولدت . وإن أمامها ككل مولود جديد طريقا طويلا للكفاح والنمو وتخطي الحواجز التي تملأ الأرض وهي حواجز عتيقة شرسية غرسها الاستعمار في أرضنا منذ عهود سحيقة فأصبحت لها قوة ثبات هائلة أخافت في الماضي القيادات الوطنية المحلية بل واستطاعت أن تمنع هذه القيادات من كل خطوة أرادت أن تخطوها في الطريق الصحيح .

ولكن هذه العقبات التي تعثرت فيها خطوات بلادنا في مراحل كفاحنا السابقة لم تستطع أن تملأ عيون قيادتنا الجديدة بمنظر الغول المخيف . . .

ان جمال عبد الناصر بطل قيادتنا الوطنية العربية الجديدة لم يقل كما قال سعد زغلول : « هل عندكم تجسريد ؟ » وكان « سعد » يريد بذلك أن بلادنا لا تملك قوة مسلحة ترد بها كيد الاستعمار ولم يكن يتطور كفاحنا حينذاك يسمح لسعد زغلول أن يمد بصره الى أبعد من هذا السؤال . . كان لا يستطيع الاجابة على هذا السؤال وكان أيضا ككل زعماء تلك المرحلة من كفاحنا يحرص نفسه في الدائرة المحلية الضيقة التي تحدها الاسكندرية شمالا وأسوان جنوبا . ومن البديهي أن الحركة

الوطنية حينذاك كانت تتمنى أن تكون في يد شعبنا قوة ينتزع بها استقلاله ويحميه من العواصف والاطماع ، ولكن القيادة المحلية - رغم كل النيات الحسنة - لم تستطع أن تضع في يد شعبنا أية قوة يرفع بها رأسه في مواجهة المستعمرين .

وفي حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ظهرت حقائق ضعفت أمام أعيننا وكانت حقائق مفزعة مخزية أثارت ضمير شعبنا وفجرت في أعماقه ثوريته التي علاها الرماد في سنوات الاسترخاء السياسي بعد ضياع الأهداف الوطنية لثورة ١٩ .

وعندما تسلم جمال عبد الناصر قيادة شعبنا الوطنية كان مطروحا أمامه السؤال الذي جرى على لسان سعد زغلول قبل ثلاثين عاما . . . وكان السؤال مازال يقول لكل الوطنيين : هل عندكم تجريدة ؟ ولم تتقاعس هذه القيادة الوطنية عن النهوض بكل مسئوليتها للإجابة عن هذا السؤال الصارخ الذي تحطمت على صخرته أحلام شعبنا في الماضي وتلاعبت عليه أهواء الزعماء المحليين والسياسة ومحترفي الحكم . ولسنا في حاجة اليوم أن نروي قصة القوة وكيف حصلت عليها قيادتنا الوطنية وضعتها في يد شعبنا ، فقد أصبحت هذه القصة فصلا من تاريخ عصرنا بأكمله . وأصبحت القوة حقيقة واقعة من حقائق الحياة التي يعيشها شعبنا الآن في ظل قيادته الوطنية .

وفي معركة بور سعيد الخالدة كان الاستعمار يستهدف القضاء على هذه القوة بمعنى أنه كان يريد القضاء على القيادة الوطنية التي صنعت هذه القوة كما كان يريد القضاء على مقاومة شعبنا الذي أصبحت في يده هذه القوة بفضل قيادتنا الوطنية . وهكذا ، فإن الاستعمار في عسدوانه الثلاثي كان يستهدف في الواقع تدمير كل تطورنا الجديد ويريد ردنا إلى العهد الذي كنا فيه نعيش وراء أسواره وداخل حظائره ونتلقى الوحي والأوامر من عواصمه وممثليه وعملائه .

ولكن الحسابات التي وضع الاستعمار أرقامها في دفائره قد خابت كلها ، وتخبطت في الخطأ بعد الخطأ وآل أمرها إلى فشل وبوار وخسران مبين .

وخرجت القيادة الوطنية ظافرة من المعركة ولم يستطع الاستعمار أن ينال شيئا من القوة التي وضعها بطل القيادة الوطنية جمال عبد الناصر في يد شعبه . . . وكانت هذه هزيمة ماحقة للاستعمار العالمي كله ، وللصهيونية حليفته ، ونصرا تاريخيا بالغ الروعة ، عميق الأثر ، لشعبنا في مصر ، وللأمة العربية في وطنها الكبير ، ولحركة التحرير الوطني كلها ، في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وللمناضلين في سبيل السلام العالمي في كل مكان .

وكشفت هذه المعركة أن الاستعمار العالمي الذي مازال يحتفظ بملامح الأسد وشبكه وزئيره ، قد تحول إلى أسد من الورق المقوي ، لا حول له ولا طول ، ولا قدرة له على رد التاريخ إلى الوراء . . .

\*\*\*



ولكن .. كيف حدثت هذه المعجزة الكبرى من معجزات التاريخ ؟  
لقد كانت القيادة الوطنية هي الرائد الذي مكن للشعب انتصاره  
النهائي على الاستعمار فخرج المستعمرون من بور سعيد ، ولم يتدخل  
مستعمرون آخرون ..

وكانت هذه حادثة تاريخية كبرى ، تقع في بلادنا لأول مرة في  
تاريخها منذ عهود سحيقة ..

وقد سجل شعبنا هذه الحادثة التاريخية الكبرى لتكون قدوة  
لجميع الشعوب في العصر الحديث ، عصر انهيار الاستعمار العالمي ،  
وانتصار حرية الشعوب ..

انتصار شعبنا في بور سعيد مرتبط اذن بحالة الانهيار النهائي  
للاستعمار العالمي .. لقد أصبح شعبنا - وبقية الشعوب - أقوى من  
الاستعمار ، ولم يعد في طاقة الاستعمار أن يقهر شعبا كشعبنا ، يملك  
القوة المعنوية والمادية والقيادة الوطنية المحنكة المتفانية في خدمة أهداف  
التحرر الوطني ..

ومعنى ذلك أن انتصار بور سعيد لم يكن ممكنا أن يتحقق ، لمجرد  
حالة الانهيار التي يعانيها الاستعمار .. وأنه كان لابد لتحقيق ذلك النصر  
من وجود قيادة وطنية مخلصه ذكية ..

ان الاستعمار مهما عانى من الانهيار المادي والمعنوي لا يمكن أن  
يتخلى عن مواقعه طوعا واختيارا ، لأن طبيعته المستغلة الجشعة تجعله  
يتشبث بالأرض التي يحتلها حتى تطرده منه عوامل عميقة تتضافر على  
انتزاعه انتزاعا ..

ولولا أن مصر كانت في سنة ١٩٥٦ تحت قيادة وطنية ، لما استطاع  
شعبنا أن يكتل جهوده للظفر في معركة بور سعيد ..

بل ان قيادتنا الوطنية هي التي خلقت بكفاحها الموقف الذي وجد  
الاستعمار معه أن مصالحه الخبيثة مهددة بالاقتلاع من مصر ..  
فقيادتنا الوطنية هي التي خاربت الاحلاف الاستعمارية في الشرق  
العربي والشرق الأوسط بوجه عام ، حتى أصبح حلف بغداد مجرد ورقة  
وقعها حكام خونة ولم تجد لها سنداً من الشعوب ..

وقيادتنا الوطنية هي التي رفضت الصلح مع اسرائيل ، فقلبت  
بذلك خطط الصهيونية والاستعمار في الشرق الأوسط رأساً على عقب ..  
ثم خطت قيادتنا الوطنية خطوة كبرى عندما كسرت احتكار السلاح ،  
واستطاعت بذلك انشاء جيش وطني قوي يصمد في وجه المستعمرين ..

وقيادتنا الوطنية هي التي أممت شركة قناة السويس ، فضربت  
مصالح الاستعمار ضربة قاصمة ، جعلته يقتنع تماما بأنه لا سبيل الى  
التفاهم مع مصر الا بقوة السلاح ..

وهكذا فان خطوات التحرر الوطني التي رسمتها القيادة الوطنية  
للشعب العربي في مصر ، اصطدمت مباشرة مع مصالح الاستعمار ، فكان  
العدوان الثلاثي الفاشل المشهور ..

ولو بقيت مصر تحت القيادة القديمة التي كانت قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . . . لاستمر الاستعمار - برغم ضعفه وانهيائه - يمارس استغلاله للشعب المصري ، ويحتل بقواته أرض مصر . .

وقد كان اضطرار الاستعمار الى العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ دليلا قاطعا على أن القيادة الجديدة التي انبثقت في القاهرة ، مختلفة عن القيادة القديمة اختلافا جذريا . .

فالقيادة القديمة ، كانت مؤلفة من القصر الملكي ورجال السياسة الحزبية والرأسماليين والاقطاعيين . .

وكانت مصالح هذه القيادة الرجعية الاقطاعية الرأسمالية - بزعامة الملك - ترتبط تماما بمصالح الاستعمار العالمي . وكانت كل ضربة توجه الى الاستعمار ، في الواقع ضربة توجه الى القيادة الرجعية الخائنة المتحالفة مع الاستعمار .

ومن البديهي أن استمرار هذه القيادة المؤلفة من رجال الطبقات الرجعية والاحزاب المضللة ، في حكم بلادنا ، كان تأمينا للمواقع الاستعمارية التي يهددها الانهيار

وبفضل التحالف الوثيق بين القوى الاستعمارية العالمية ، والقوى الرجعية المحلية ، كان الاستعمار يحافظ على مواطئ أقدامه في بلادنا ، وينعم باستغلال شعبنا وامتصاص ثرواته . .

ولم يكن معقولا لو استمرت هذه الاوضاع ، أن تنشب معركة في بور سعيد أو في غير بور سعيد من مدننا ، بين شعبنا وبين القوات الاستعمارية المعتدية . .

غير أن هذه الاوضاع لم تستمر ، واستطاع جمال عبد الناصر . القائد الجديد للشعب ، أن يضرب مصالح الاستعمار باستمرار ، حتى وجد الاستعمار أنه لا سبيل الى التخلص من قيادة عبد الناصر ، وإعادة القيادة القديمة الا بالعدوان المسلح !

والاستعمار يعميه جشعه عن رؤية الحقائق ، برغم ما هو معروف من طول تجارب رجال الاستعمار ودهائهم . . ولهذا فان الاستعمار تصور أنه من الممكن عزل القيادة الجديدة ، كما كان في الماضي يعزل من يشاء من رجال القيادة الاقطاعية الرأسمالية الرجعية . .

لقد كان السفير البريطاني يعزل رؤساء الوزارات ، فخيّل الى البريطانيين أنهم يقدرّون - في سنة ١٩٥٦ - على عزل الوزراء المصريين ، وإقامة حكومة جديدة بدلا من حكومة عبد الناصر

وكان هذا منتهى المبالغة في الخيال من جانب الاستعماريين ، لأنهم لم يدركوا الفارق الأساسي بين القيادة الرجعية القديمة التي لم يكن لها أي ارتباط بالشعب ، وبين القيادة الجديدة التي تستمد وجودها نفسها من الشعب .

وعندما وقع العدوان الثلاثي ، ونزل المعتدون في بور سعيد بدءوا يتصرفون بوحى من هذا الاعتقاد الخاطيء الذى ملأ صدورهم ، فخيّل اليهم أن الشعب سينفض من حول قائده .. ولسكن الشعب قابل المعتدين بالحديد والنار ، وبذل دماءه بسخاء دفاعا عن أرضه ، وعن قيادته الوطنية

ولم ينس أحد بعد معارك الفدائيين في بور سعيد خلال الاحتلال البريطاني الفرنسي ، ضد جنود الاحتلال ، بسبب اصرار الفدائيين على لصق صورة جمال عبد الناصر على جدران بور سعيد ، واصرار المعتدين على نزع الصورة .. فكان المعتدون ينزعونها ، وبعد ساعات يجسدون جدران بور سعيد مغطاة بمئات من صور عبد الناصر ..

ان هذه الحوادث كانت لها دلالتها العميقة .. لقد برهنت على أن الشعب متعلق بقيادته ، مستعد للتضحية في سبيل تمكينها من أداء مهمتها التاريخية النبيلة ..

وقد برهنت التطورات التي حدثت بعد معركة بور سعيد على أن القيادة المصرية العربية الجديدة ممثلة في الرئيس جمال عبد الناصر ، كانت في مستوى مهمتها التاريخية .. وقد أدتها بأمانة وكفاية وإخلاص ، بعد انتصار بور سعيد في سنة ١٩٥٦ كما أدتها من قبل منذ فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ..



لقد كان الخط البارز في انتصارنا على الاستعمار سنة ١٩٥٦ ، يتمثل في التغير الاساسي الذي طرأ على كفاح الشعب المصري بفضل قيادته الجديدة التي أهدتها اليه ثورة ٢٣ يوليو .. بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر

وليس صحيحا بحال من الأحوال أن حالة الاستعمار الراهنة .. حالة التفكك والانحيار التي يعانيها في كل مكان في العالم ، كفيلة وحدها بخروجه من المستعمرات وأشباه المستعمرات التي يحتلها ..

ان الذي يرغب الاستعمار على الخروج من مواطىء اقدامه ، هو الكفاح الوطني الصحيح تحت قيادة لا ترتبط مصالحها أو بعض مصالحها بالاستعمار ووجوده في بلادها .

وجمال عبد الناصر هو القائد الوطني الذي اكتمل فيه هذا الشرط . انه القائد الذي لا تربطه بالاستعمار أية مصلحة .. وبالعكس .. ان جميع المصالح التي يعمل من أجلها عبد الناصر تصطدم مباشرة بمصالح الاستعمار العالمي ..

ولم تكن هزيمة الاستعمار البريطاني والفرنسي - ومعهما اسرائيل - مهمة سهلة .. بل كانت مهمة معقدة تحتاج الى جهود الجبابة .. بالرغم من اعترافنا بان الاستعمار لم يعد قويا كما كان ، ولم يعد سهلا عليه أن يتغلب على الشعوب ، كما كان يفعل في الماضي .

ولكن قهر الاستعمار ، ليس نزهة ، ولو كان هو الاستعمار البرتغالي . الشائخ الذي يكاد يلفظ انفاسه .. فهانحن قد رأينا بأعيننا أن نهرو -



رجل السلام العالمى - قد اضطر الى أن يحرر جزءا من بلاده بحد السلاح، بالرغم من أن الهند كلها ظفرت بالاستقلال عن طريق المفاوضة ..

ان معركة جوا الصغيرة فى الهند التى خاضها الاستعمار البرتغالى ضد الشعب الهندى ، لهى الدليل الذى لا يدحض على أن الاستعمار العالمى لا يفكر اطلاقا فى أن يتخلى عن شبر من الارض التى يستعمرها طائعا مختارا ..

وهذا التصميم الاستعمارى الدنىء ، هو الذى واجهه عبد الناصر فى سنة ١٩٥٦ وقهره ، وانتزع منه انتصار بور سعيد العظيم !!

وقد أطلقت معركة بور سعيد كل امكانيات القيادة الوطنية فى بلادنا ، ولهذا كان التطور الطبيعى التالى للمعركة هو قيام الوحدة بين سورية ومصر وظهور أول دولة كبيرة للعرب بعد انهيار آخر دولة لهم تحت سنانك خيل العثمانيين فى معركة مرج دابق سنة ١٥١٧ ..

وهذه الدولة الكبرى - ودعك من النكسة الانفصالية الحالية - ليست مجرد دولة مترامية الاطراف غنية بمواردها الطبيعية وامكانياتها البشرية ، وانما هى قاعدة للعرب جميعا .. هى - كما قال الرئيس جمال عبد الناصر « طليعة للكفاح العربى وقاعدته » ..

وقد كان من البديهى بعد ظهور القيادة الوطنية للعرب أن تكون الدولة التى قامت على يد هذه القيادة ، طليعة لكفاح الامة العربية وقاعدة له .. لأن هذه القيادة بالذات هى طليعة الكفاح العربى الذى وجد فى هذه المرة طريقه الصحيح ، وأصبح الاستعمار عاجزا عن قهره واخضاعه كما فعل فى الماضى بانتفاضات الامة العربية المتفرقة ..

من أجل ذلك أعلنت الجمهورية العربية المتحدة انها تضع كل امكانياتها لتحرير الجزائر الشقيقة .. لأن تحرير الجزائر ليس عبئا على أبنائها وحدهم ، الذين واجهوا أعتى القوى فى العالم وقاتلوا كتلة من الدول الاستعمارية .. حتى تم لهم النصر .

وفى سبيل تحرير الجزائر دخلت الدولة العربية وقيادتها الوطنية فى معركة ضد القوى التى تحارب الجزائريين .. ضد فرنسا التى رفعت طوال ١٣٢ عاما رأيتها فوق جزء كبير من أرض الجزائر .. وضد دول حلف الاطلنطى التى كانت تمد فرنسا بالمال والرجال والاسلحة وتساعدها على ازهاق الارواح وتشريد الاطفال والنساء ..

وحين دخلت القيادة الوطنية فى بلادنا معركة الجزائر بكل الامكانيات اللازمة لاحتراز النصر ، لم تكن ترى هذا عملا ثانويا ، ولا تخطيا لالتزاماتها ، لأن هذا العمل هو من صميم واجبات القيادة الوطنية للشعب العربى الذى لا يرى أى فارق بين أرض الجزائر وأرض مسقط

وعمان وجنوب اليمن وفلسطين وأية أرض عربية أخرى يقوم فيها صراع ضد الاستعمار والصهيونية ..

ومن هنا كانت بورسعيد هي نقطة الانطلاقة الكبرى بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، الذي تمثلت فيه القيادة الوطنية للامة العربية ..

وقد كانت معركة بورسعيد أشبه بنار برهنت على ان هذه القيادة عرق من الذهب الخالص لا تزيد النار الا لمعانا وبريقا .. ففي هذه المعركة .. معركة الحياة أو الموت ، بدا بشكل مثالي مدى تمسك القائد الوطني جمال عبد الناصر بمبادئ الأمة التي يقودها .. وفي أحلك ساعات المعركة ، ظل قابضا على حرفة هذه المبادئ ، فلم يخطر له مثلا ، وقد هاجمته دولتان من الكتلة الغربية ، أن ينحاز الى الكتلة الاخرى . لأنه كان يقاتل في سبيل تثبيت مبادئه التي لا يحيد عنها ..

وهذا هو الجوهر الاصيل للقيادة الوطنية العربية كما يمثلها جمال عبد الناصر .. جوهر الأمة العربية التي تستمد من ذاتها أسباب قوتها ، وتأخذ من قوميتها أسلوب تطورها وتجدها ، وتمد للعالم كفيها بالسلام والصداقة في الوقت الذي تحرص فيه على استقلالها وشخصيتها وتقاليدها وتراثها الجليل .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذي يتمثل في جمال عبد الناصر ، هو الذي جذب ولاء الشعب للقيادة ، وأعطى الأمة كلها الروح المعنوية التي قاتلت بها في معركة العدوان الثلاثي ، وأثار في شعب بورسعيد أعماق تقاليد البسالة والفروسية التي قاتل بها أبناء الساحل المصري قسوات المغيرين على مدى الدهور من الصليبيين بقيادة لويس التاسع الى الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين الذين جاءوا ببوارجهم من قبرص في سنة ١٩٥٦ .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذي يتمثل في جمال عبد الناصر هو الذي أعطى الأمة العربية انتصاراتها الحديثة .. فبعث قوميتها وبني أول دولة موحدة لها تحولت الى طليعة وقاعدة للتحرر والوحدة ، وجعل زعامة الامة العربية في شخص جمال عبد الناصر ذات أثر ضخم في توجيه الاحداث في العالم كله ، ووحيا ثوريا يستمد منه الالهام كل الاحرار والثوريون في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ..

ان التقاء الثورة العربية بثورة الكونغو أو ثورة كوبا أو ثورة أي بلد يحارب الاستعمار ، ليس طموحا غير مشروع للعرب كما يزعم الاستعماريون وعملاؤهم وانما هو التقاء طبيعي بين التيارات التي تتحكم في عصرنا وتوجه سيره الحتمي نحو القضاء على الاستعمار وقرار السلام العالمي والنهوض بحياة الشعوب التي منعها الاستعمار طويلا من التطور المستقل وبناء حياتها الاجتماعية .

وكفاح القيادة العربية متمثلة في جمال عبد الناصر من أجل السلام العالمي ، ليس خروجاً منها الى ما وراء الحدود ولا اقتحاما للحرب الباردة

واشتباكا مع الدول الكبرى ، وانما هو جزء من رسالة الامة العربية  
تؤديه قيادتها الوطنية الواعية على أكمل وجه هو أدعى الى الفخر  
والاعتزاز .

وكفاح القيادة العربية متمثلة في جمال عبد الناصر ضد عملاء  
الاستعمار في الشرق العربي ، وضد المنحرفين عن روح القومية العربية  
من الداعين الى التجزئة أو التبعية أو الانعزال . . هذا الكفاح أيضا  
واجب من واجبات القيادة الوطنية العربية يؤديه جمال عبد الناصر دائما  
بغير كلل ، وقد كان هذا الكفاح سببا في تساقط عملاء الاستعمار واحدا  
بعد واحد في البلدان العربية ، وما زال هذا الكفاح قادرا على اعطاء عملاء  
الاستعمار الدروس التي هم في حاجة اليها . .





شخصية  
البطل

وميثاق  
الشعب







ان شخصية البطل الذى لا يتكرر فى تاريخ الامة ، الا مرة فى كل بضع مئات من السنين ، هى الشخصية التى اتفق المنصفون جميعا ممن كتبوا عن الرئيس عبد الناصر خارج بلادنا على أنها الشخصية الخاصة به ومن هنا كانت بطولة عبد الناصر هى بطولة القائد الرائد التى حولت مجرى التاريخ وكتبت صفحات جديدة فى التاريخ ، واعطت لكفاح الشعب مفهوما شعبيا صحيحا لأول مرة فى تاريخ كفاح شعبنا ضد الاستعمار والاقطاع والآفات السياسية والاجتماعية الكثيرة التى نخرت فى حياتنا امدا طويلا .

وشخصية البطل هى التى صنعت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ثم صنعت من هذه الثورة حادثا تاريخيا هائلا تخطت آثاره حدود وطنه الى المنطقة الكبرى التى تحيط بهذا الوطن .

وفى خلال عشر سنوات من الكفاح الرائع المتواصل ، قادت شخصية البطل هذه الثورة من نصر الى نصر . . بدأت بتصفية الاحتلال الاقتصادى المتمثل فى الاحتكارات الاستعمارية التى كانت شركة قناة السويس على رأسها . ثم جاء دور البناء الاجتماعى . . بناء الاشتراكية .

وفى خلال هذه المعارك كلها كانت شخصية البطل - جمال عبد الناصر - تقف وسط ظلمات المعركة وبرقها ورعدها ، كمنار هاد يبعث اضواءه فى كل الاتجاهات ، وترنو اليه جميع الابصار لتستمد منه الأمل والشجاعة وتهتدى الى الطريق الصحيح . . .

ان شخصية عبد الناصر هى شخصية بطل الاستقلال . . ولكن عبد الناصر ليس مجرد بطل للاستقلال ، لأن دوره لم ينته عقب حصول بلاده على الاستقلال ، ولم يكن ممكنا لدوره أن ينتهى عندئذ ، لأنه كان أيضا بطل تحرر اقتصادى . .

وعندما تم التحرر الاقتصادى لبلادنا واختفت الاحتكارات الاجنبية التى كانت تربض فوق أرضنا . . أخذت شخصية الزعيم الرائد على عاتقها قيادة الثورة الاجتماعية . . وهى أصعب مراحل الثورة الكبرى التى بدأت منذ عشر سنوات . .

ان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية لم تكن مجرد قوانين صدرت  
ليقوم الجهاز الادارى بتنفيذها .. بل كانت فى الحقيقة صيحة الثورة  
الاجتماعية ، حيث انطلقت صيحة الثورة الاولى فى فجر ٢٣ يوليو منذ  
عشر سنوات ..

وبانطلاق صيحة الاشتراكية فى بلادنا ، أصبح النضال الشعبى  
العربى يدور على ثلاثة محاور ضخمة : الحرية .. الاشتراكية .. الوحدة .  
ان تجربة الوحدة بين مصر وسوريا أثبتت بما لا يدع مجالا للشك  
ان النضال الشعبى العربى الذى يستهدف الوحدة كهدف أصيل ، لا يمكن  
أن يبلغ الهدف المنشود بالنضال حول محور « الوحدة » فقط .. فبدون  
« الحرية » .. لا يمكن الوصول الى الوحدة .. وبدون « الاشتراكية »  
لا يمكن الوصول الى الحرية !!

وهكذا يبدأ طريقنا نحو الوحدة بالحرية والاشتراكية .. ولا يوجد  
طريق آخر يؤدى الى الوحدة العربية .

ومن النضال فى سبيل الاشتراكية ، انبثق مشروع الميثاق الذى  
قدمه الرئيس جمال عبد الناصر لممثلى الشعب ، فى المؤتمر الوطنى  
الكبير ..

لقد أثبت النضال فى سبيل الاشتراكية ضرورة معرفة أعدائها من  
أصدقائها ..

وأثبت هذا النضال ان أعداء الاشتراكية من الرجعيين والاحتكاريين  
وعملاء الاستعمار لا يمكن أن يهادنوها .. ولهذا يجب ألا يهادنهم  
الاشتراكيون .. ان الهدنة مع الرجعية ، هى فتح لأبواب الحصون المنيعه  
فى وجهها .. وفتح أبواب الحصون ، كثيرا ما يعنى تسليم ما فى داخل  
الحصون ..

ولكن الكفاح الاشتراكى بقيادة جمال عبد الناصر لا يخطر بباله أن  
يسلم مفاتيح حصونه للرجعية .. انه .. بالعكس من ذلك - يزيد حصونه  
مناعة ، ويجمع صفوفه صفا الى صف ، ويرتق الخروق التى أصابت  
جدران الحصون خلال المعارك الطويلة ..

وبدلاً من أن تقف الثورة أو تتقهقر ، فانها تتقدم وتقذف بأعدائها  
بعيدا .. وبدلاً من أن تتراجع عن الزحف الاشتراكى ، فانها تندفع كل  
يوم فى هذا الزحف ، ويشند اندفاعها الثورى حماسة وقوة ..

وفى كل خطوة من خطوات المعارك التى لا تنتهى ، تجسد الثورة  
رائدها الذى التقت به دائماً ، وستظل تلتقى به على مدى الايام ..

وفى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان موعد التفجير الثورى ،  
واستطاع الشعب المصرى - كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى ميثاق  
العمل الوطنى - « أن يعيد اكتشاف نفسه ، وأن يفتح بصره على امكانيات  
هائلة كامنة فيه .. ان هذه الامكانيات الهائلة حققت تجربة جديدة فى  
تاريخ الثورات .. »

والمؤكد ان الشعب المصرى قد أعاد اكتشاف نفسه فعلا فى ٢٣ يوليو منذ عشر سنوات ، ولكنه اكتشف فى الوقت نفسه قائد كفاحه ورائده الشعبى الذى كان النضال يفتقر اليه لكي يصل الى التجاح ، بعد التعثر الطويل وراء قيادات لم تكن فى مستوى مواقف النضال ..

وقد سار الشعب المصرى باطمئنان تام مع رائده الذى التقى به فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعلى هدى عشر سنوات خاض الشعب مع رائده ثورته الشاملة التى بدأت بالقضاء على الاستعمار واستمرت فى طريقها للقضاء على كل قيد ترسف فيه أيدي الجماهير العاملة .

ولم تكن شخصية الرائد التى قادت جماهير شعبنا ، قوة خفية من قوى ما وراء الطبيعة ، ولا كانت تفرض على الجماهير نوعا من تقديس الفرد والانصياع لمشيئته بدون وعى .

ان شخصية عبد الناصر هى شخصية شعبية صهيمة ، نابعة من قلب الشعب نفسه ، ويلمح فيها البطولة الفلاحون والعمال والناس العاديون الذين يعملون فى شجاعة وصمت وتفان واصرار على بلوغ الهدف مهما تكن التضحيات ..

ولان شخصية الرائد الذى قاد شعبنا هى من قلب شعبنا ، وليس لها من هدف الا الهدف الذى تتجه اليه انظار شعبنا ، فان هذه الشخصية ظلت طوال السنين ملتصقة بشعبنا تسمع نبض قلبه ، وتطالع افكاره وتعبّر عن ارادته أدق تعبير ، وترفع أهدافه كشعارات للنضال .

وهكذا أصبح جمال عبد الناصر ، بشخصيته الفذة هذه ، ممثلا حقيقيا لشخصية الشعب المصرى ، ولم يعد ممكنا وضع خط دقيق بين شخصية القائد وشخصية الشعب ، لان القائد والشعب كتلة واحدة من الارادة والعزم والاصرار .

وفى فجر ٢٣ يوليو ، عندما اكتشف الشعب شخصية القائد ، لم يكن القائد يمسك بيديه كتابا يحوى نظرية متكاملة عن الثورة والمجتمع ومع ذلك سار الشعب وراء القائد بلا تردد .. كيف حدث ذلك ؟

ان القائد نفسه يفسر هذه الظاهرة النادرة فى تاريخ الثورات فيقول فى ميثاق العمل الوطنى : «ان قوة الارادة الثورية لدى الشعب المصرى تظهر فى ابعادها الحقيقية الهائلة اذا ماذكرنا ان هذا الشعب البطال بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشكلات المعركة كذلك فان هذا الزحف الثورى بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى» .

وكما حمل الشعب الاعجاب الشديد لقائده ، فان القائد نفسه كان دائما يحمل الاعجاب الشديد للشعب الذى يقوده .

ويعترف قائد الشعب فى تواضع بأن «الشعب المعسّم» هو الذى استطاع تطوير مبادئ الثورة الستة المشهورة وجعل منها نظرية سياسية متكاملة ..



ولماذا فعل الشعب ذلك ؟

لانه أدرك للوهلة الاولى أن الثورة هي ثورته ، ومبادئها الستة هي مصابيح الطريق التي وضعتها قيادة الثورة وهي تخطو أولى خطواتها .. ولأن قائد الثورة هو رائد الشعب .. هو ابن الشعب .

ولم يكن ممكنا أن يشترك الشعب في تطوير المبادئ الستة لو لم تكن الثورة ثورة شعبية حقا ، ولو لم يكن قائدها هو رائد الشعب حقا .

ان الثورات تفرض آراءها على المجموع .. بالنار والحديد والدم .. ولكن الثورة التي قادها رائد شعبنا ، لم تكن ثورة نار وحديد بل كانت ثورة بيضاء تكره الدماء وان كانت لاتضمن بدمائها لحماية أهدافها من أعدائها والمتربصين بها .

ويصف الرئيس جمال عبد الناصر الطريقة التي استطاع بها الشعب تطوير المبادئ الستة ، فيقول في الميثاق : « أن هذا الشعب المعلم راح أولا يطور المبادئ الستة ويحركها بالتجربة والممارسة وبالتفاعل الحي مع التاريخ القومي ، تأثرا به وتأثرا فيه ، نحو برنامج تفصيلي يفتح طريق الثورة الى أهدافها الافتتاحية .. ثم أن هذا الشعب المعلم راح ثانيا يلقن طلابه الثورية أسرار آماله الكبرى ويربطها دائما بهذه الآمال .. ويوسع دائرتها بأن يمنحها مع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة في صنع مستقبله » .

وهكذا التقت ارادة الشعب الثورية مع ارادة رائده العظيم الذي انبثق من صميم صفوفه . ولم تعد هناك قوة في العالم تستطيع أن تحفر هوة بين الرائد والشعب العظيم الذي أنجب الرائد العظيم .

وكان التقاء الارادتين العظيمتين في عمل واحد ، كافيا لان يغير وجه الوطن كله .

ولقد بدأ وجه الوطن يتغير بالفعل . أن ملامح مصر تتغير باستمرار وبدلا من تجاعيد أربعة آلاف سنة فوق وجهها العريق ، تظهر الآن نضارة الشباب ، وتقللا دماء الصحة والعافية .

ولم يكن بد بعد أن شملت التغييرات كل شيء في حياة شعبنا .. وخاض تجارب كبرى خلال السنوات العشر الثورية من أن يقف وقفة عند المعجزات الهائلة التي فرغ منها ، والمعجزات الهائلة التي يتأهب للعمل فيها والفراغ منها خلال سباق عنيد مع الزمن ، وفي ظل المبادئ الاشتراكية العربية التي انطلقت في وطننا مع قوانين يوليو الاشتراكية .

وقد أتاح المؤتمر الوطني للقوى الشعبية وقفة تاريخية لشعبنا أطل منها على أعماله الكبيرة خلال السنوات العشر التي سار فيها مع جمال عبد الناصر .. وخلال السنين القادمة الجديدة من قيادته الظافرة .

ان الميثاق بأبوابه العشرة يتضمن الخطوط العريضة للطريق الثوري الذي يسير فيه شعبنا العربي الى الحرية والاشتراكية والوحدة الكبرى بين أجزاء الوطن العربي من المحيط الى الخليج .

ويتضمن الميثاق كذلك الخطوط العامة للتحالف بين القوى الشعبية

العاملة ، من العمال والفلاحين والوطنيين . من العنث الأخرى . . هن أجل إقامة الاشتراكية العربية وحمايتها من التسلل الرجعى المخرب .

وهذه الخطوط كلها ليست حواجز جامدة لا يمكن تخطيطها . . انها خطوط عريضة وعميقة حقا ، ولكنها ليست اغلالا فى الأرجل تمنعها من السير الحر طبقا للظروف التى يخلقها العمل نفسه .

وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك فى الميثاق الوطنى بقوله يصف ارادة الشعب بأنها « ارادة تغيير ثورى ، ترفض أى قيد أو حد الا حقوق الجماهير ومطالبها » .

ومعنى هذا ان الميثاق الوطنى سيكون دليلا هاديا فى بناء أجهزتنا التى ستجعل من الاشتراكية حقيقة باذخة فى بلادنا .

وفى الميثاق يرتسم الفكر الاشتراكى العربى الحر ، المقترح - على حد تعبير الميثاق - لكل التجارب الانسانية .

والميثاق ، فى جوهره ، هو اعلان لثورة عربية متجددة ، خلاقة لاتخذ . . ثورة للحرية والاشتراكية والوحدة .

ويفرض عليها طريقها الطويل أن تكون ثورة دائمة ، أو متجددة على الأقل . . لأن الثورة هى « الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها الأمة العربية أن تخلص نفسها من الاغلال التى كبلتها ومن الرواسب التى أثقلت كاهلها » .

وثورتنا تدرك جيدا أن أسلوب المصالحة مع الاستعمار لم يعد هو طريق الحرية بدليل انتصارنا فى حرب مسلحة ضد الاستعمار العالمى سنة ١٩٥٦

ومن ناحية أخرى تدرك ثورتنا أن بناءها الاشتراكى - كما جاء فى الميثاق - « لم يعد حتما عليه أن يلتزم التزاما حرفيا قوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر » .

وهكذا يرسم الميثاق الذى أعلنه عبد الناصر خطين لنضال الثورة المصرية العربية :

- فى النضال من أجل التحرر . لا لمصالحة مع الاستعمار وعملائه الرجعيين .

- فى النضال من أجل الاشتراكية ، لا التزام بمناهج أجنبية للعمل الاشتراكى ، مع مراعاة ما أشار اليه الميثاق من الفكر المفتوح لكل التجارب الانسانية .

أما الخط الثالث لنضال الثورة العربية ، وهو «الوحدة» . . فان الميثاق يقول عنه: «والامر كذلك فى تجربة الوحدة» . . فان النماذج السابقة لها فى القرن التاسع عشر ، وأبرزها تجربة الوحدة الألمانية وتجربة الوحدة الايطالية ، لم تعد تقبل التكرار ، وأن اشتراط الدعوة السلمية

واشتراط الاجماع الشعبى ليسا مجرد تمسك بأسلوب مثالى فى العمل الوطنى ، وانما هو فوق ذلك ، ومعه ضرورة لازمة للحفاظ على الوحدة الوطنية للشعوب العربية .

وهكذا يرسم الميثاق للوحدة العربية بين الشعوب العربية طريقها العربى الذى لا يقلد الطرق التى سارت فيها شعوب أخرى من قبيل ، فكانت طرقا مصبوغة بدماء القتلى وجثثهم . . وعلى جوانبها دارت معارك اشتركت فيها الجيوش لتفرض الوحدة فرضا .

ان طريق الدماء . . ليس طريقنا الى الوحدة . . هكذا يؤكد الميثاق

على أن الميثاق الذى قدمه البطل عبد الناصر للشعب العربى . استطاع أن يتضمن الى جانب كل ذلك أشياء جديدة كثيرة . تعتبر ثقافة جديدة لعهد جديد .

ولعله لا بد من وقفة تلقى الاضواء على ذلك الميثاق الذى قدمه عبد الناصر للشعب العربى .

فالثقافة الجديدة التى قدمها الميثاق هى أبرز نقاطه . . بل هى المحور الرئيسى الذى ستدور حوله حياتنا . . أى حياة الشعب خلال سنى التكافح القادمة .

فالثقافة انعكاس للأوضاع الطبيعية . . ولقد ظلت ثقافتنا خلال عشرات السنين الماضية انعكاسا لوجود الاستعمار فى بلادنا وانعكاسا لسيطرة الاستعمار والاقطاع .

لقد ظل الشعب المصرى يكافح سنين طويلة فى سبيل اقامة مجتمع جديد . . ولكن الاستعمار والاقطاع كانا يضربان بعنف كل محاولة تهدف الى بث الثقافة التى تؤدى الى هذا التغير والتحول .

واقام الاستعمار والاقطاع حولنا سورا ضخما ليحجب عنه ثقافات العالم حتى نظل عميانا عن التطور الذى يهز العالم . . ثم فرض علينا ثقافته . . فظلت الجماهير الفقيرة جاهلة متأخرة عن التطور الذى يهز العالم . . كما ظلت فئات المثقفين محصورة بين سطور الكلمات التى تدعم حكم الاستعمار والاقطاع .

واليوم بعد أن تخلصنا من الاستعمار والاقطاع فى مصر وتغير الوجه الاقتصادى ، كما تغير البناء الاجتماعى ، كان لا بد أن تكون لنا ثقافة جديدة تعبر عن هذه الأوضاع الجديدة . . وجاء الميثاق انعكاسا للنظام السياسى وانعكاسا للأوضاع الاقتصادية الجديدة التى حدثت خلال السنوات العشر الماضية ، والتى توجت بصدور قوانين يوليو ١٩٦١ . . ثم مهد الميثاق فى الوقت نفسه لخلق ثقافة جديدة تتلاءم مع أوضاعنا الجديدة . . وعندما تستكمل هذه الثقافة مقوماتها ، سنجد لها من ثم تأثير فى أوضاعنا

لقد كشف الميثاق لنا لأول مرة عن معانى الصراع الطبقي ، كما فسر



لنا تاريخنا على أساس علمي .. وتحدث عن حتمية الحل الاشتراكي ..  
ثم مشكلات السلام والحياد الايجابي .. ثم ربط الميثاق بين هذا كله وبين  
تطور الشعب .

ولهذا فالميثاق فتح جديد لثقافة جديدة ، تقوم مقام الثقافة  
الاستعمارية الاقطاعية التي انهارت بانهياء النظام الذي كان سائدا قبل  
يوليو ٥٢ .

وهذا ما يوضح لنا ما قصده الرئيس في قوله عن أزمة المثقفين التي  
أثيرت كثيرا من قبل انها أزمة طبقية وليست أزمة ثقافة .

وليس معنى ذلك أن هذه الثقافة منعزلة عن التراث الانساني الضخم  
بل هي امتداد وتطوير له .. ولكنها تنبذ كل المعاني التي حاولت العناصر  
الرجعية أن تلصقها بالانسان لتعوق تطوره عن تحقيق آمانيه .

#### فما الفلسفة ؟

ليست الفلسفة كما حاولت الثقافة الرجعية أن توهمنا ، هي  
المناقشات التي لا جدوى لها أو لا معنى لها .. ولكن الفلسفة أبسط من  
هذا .. انها نظرة الانسان الى الحياة .. هذه النظرة التي تمتد الى تصرفات  
الانسان نحو نفسه ثم نحو أسرته وأخيرا نحو المجتمع الذي يعيش فيه .

ولقد أغرقتنا الرجعية والاستعمار في فلسفات مثالية لا تربطنا  
بالواقع الذي نعيشه .. واستطاعت أن توهمنا بأن الواقع لا يمكن تغييره  
وبثت فينا روح التواكل والاستسلام للأقدار و ... وعاشت الرجعية  
لثلاثهم هي نفسها الواقع وتتخمد بما تنتجه الأرض وما يبذله العامل .

وأرادت لنا أن نعيش على أوهام « كسب ورقة اليانصيب » أو أحلام  
الشراء المفاجيء .

وعندما أوشكت هذه الفلسفة على الانهيار ، حاول الاستعمار من  
جديد أن يغرقنا في نوع جديد من الفلسفة الوجودية .. لكي تؤدي بنا  
الى أخط أنواع الانحلال وبذلك تضعف فينا روح المقاومة وعزيمة الكفاح .

وجاء الميثاق .. لم يأخذ عبد الناصر فيه بالفلسفة المثالية بل حطمها  
كما لم يأخذ بالمادية الجدلية كلها ، بل أخذ منها بعض أوجهها كما أخذ  
اليها بعض القيم الانسانية من الفلسفة المثالية .. وهكذا جاء الميثاق  
بفلسفة مستمدة من الحياة .. فلسفة تضع التجربة في المقام الاول وبذلك  
رسم الميثاق طريقا لتغيير حياتنا دون أن يتجاهل واقعنا ، كما انه يعمل  
على تغيير الواقع دون أن يتجاهل حياتنا .

هذه هي الفلسفة الجديدة التي يقدمها الميثاق لتحل محل فلسفة  
التواكل أو الانحلال .. أو الاستسلام أمام الواقع .

انها فلسفة تدفعنا الى العمل في اطار حياتنا الجديدة ، وتحدد نظرتنا  
الى الحياة حتى نستطيع أن نغير الواقع المرير الى حياة أفضل .

لقد أكد الرائد العربي ارادة الانسان ، وقدرته على تغيير حياته .



لقد كنا نسمع من يقول ونحن نتحدث عن الفلاح « ان الفلاح راض بحياته ، أو « الفلاح طول عمره كده » ، واذا تناولنا العامل بالحديث قيل « والله مافيش فايده » واذا تحدثنا عن الفوارق بين الطبقات أسرعوا قائلين « انتم عايزين تغيروا المكتوب أهو كل واحد وحظه » .

وجاء الميثاق ليشجب كل هذا وليضع ارادة الانسان في مكانها اللائق وليؤكد قدرة الفرد وليعيد للانسان ثقته في نفسه وفي المستقبل . وكان الشكل السياسى والاقتصادى للدولة قبل ثورة ١٩٥٢ نظاما اقطاعيا واستعماريا فى المقام الاول . وكانت القوى المسيطرة هي القوى الاقطاعية الممثلة فى النظام الملكى وكبار ملاك الاراضى الزراعية ووراءهم جيوش الاستعمار تحميهم وتشدد أزرهم .

وجاء عبد الناصر ليغير هذا كله . وبمعنى أدق جاء الميثاق بنظرة سياسية جديدة لبناء أساس سياسى جديد يحل محل النظام السياسى القديم الذى انهار .

ولقد كانت الدولة فيما مضى تعتمد على الاستعمار فى حماية نفسها من أى عدوان خارجى أو أية ثورة داخلية ، وإن العدو الخارجى للاستعمار هو نفسه العدو الخارجى للاقطاع ، وكان ذلك يحدث بالتبعية . ولهذا كان وجود جنود الاحتلال ثم المعاهدات نتيجة طبيعية لسيطرة الطبقات الرجعية .

وبعد انهيار هذا النظام الاستعمارى الاقطاعى ، كان لابد للدولة من نظام سياسى يحميها ضد الاعداء . . وجاء الميثاق ليحدد النظام السياسى الجديد . . وهو نظام يقوم على أساس تكتل كل قوى الشعب ضد العدو المشترك .

ان النظام السياسى الجديد الذى يقوم على تجميع كل فئات الشعب فى الاتحاد الاشتراكى والذى نص على وجوب تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠ ٪ فى المجلس النيابى القادم . . انما عمل على تكتل كل القوى المعادية للاستعمار فى جبهة واحدة لمقاومة العدو المشترك . . وكما نظر الميثاق الى الواقع السياسى الداخلى الذى نعيش فيه وعمل على وضع أساس جديد يخلف النظم البالية كذلك وضع الميثاق أساسا جديدا لسياستنا الخارجية فجاءت تعبيراً صادقا ومعبرا عن الواقع ، سواء كان ذلك بتحررنا من التبعية للاستعمار ، أو تقديره الواقعى للقوى التى تلعب دورها فى المجال العالمى ومدى تحركها معنا ، فوضع الميثاق لأول مرة فى حياتنا تقديرا حقيقيا لمدى تفوق المعسكر الشيوعى وأثر ذلك فى تطورنا .

وثمة ثقافات أخرى كثيرة عرضها الرائد العربى فى الميثاق .

ولعل أبرز ما فى الميثاق ، انه وضع الأساس النظرى لقوانين يوليو ٦١ ففضى بذلك على المفهوم التقليدى للاقتصاد ، كما قضى على تبعيتنا لمدارس الاقتصاد الغربى . . فكشف الميثاق عن عيوب وأخطار وأخطاء النظريات التى تنادى بالحرية الاقتصادية ، وأوضح أن هذه الحرية معناها

تبعية الشعوب المتحررة. حديثا لنظام الاستغلال الغربى كما قضى الميثاق على حرية استغلال الفرد داخل وطنه .

لقد قامت الرأسمالية على انقاض الاقطاع واستطاعت فى لحظات نموها أن تعمل على نمو الانتاج ، ولكن هذا النظام تحول الى عملية سرقة ونهب للشعوب عن طريق الاستعمار ، كما فرق بين أبناء الوطن الواحد بأن جعل بينهم سادة يملكون المال وعبيدا يعملون تحت وطأة الحاجة .

وجاء الميثاق ليمزق قناع هذه النظم الاقتصادية وليكشف عن حقيقتها وليقضى على نظريات الاستغلال .

لقد كان النظام الاقتصادى التقليدى يفرض على مصر أن تكون مزرعة قطن « للنكشير » . . . واستطاعت أسس هذه النظريات أن تقنعنا بأننا بلد زراعى وان امكانيات التصنيع فى بلادنا غير متوافرة . . . وقضى الميثاق على هذه الخرافات ورسم الطريق لاساس اقتصادى جديد .

وكان الاقتصاد التقليدى الذى يدرس فى معاهدنا وجامعاتنا ينظر الى جهد الانسان وعمله على أنه سلعة ، وبذلك جعل العامل جزءا من الآلة وليس طاقة بشرية ، فنص الميثاق على أن العامل هو سيد الآلة .

لقد أوضح عبد الناصر بما لا يدع مجالا للشك أن الطريق القديم للنمو الاقتصادى القائم على نظريات الاقتصاد الرأسمالى طريق مقفل وان نهاية هذا النظام قد اقتربت . . . ولم تمض الا أيام حتى شاهدنا الأزمة الطاحنة التى تجتاح الاقتصاد الغربى والانهيال الذى أصاب الشركات والاسهم .

لقد كشف الميثاق القناع عن نظريات الاستغلال ، ووضع مكانها اسسا جديدة لتطبيق الاقتصاد الاشتراكى الذى يخدم الفرد ويعمل على التنمية دون استغلال ، ويمضى فى دورته دون ازمات دورية او مفاجئة .

ولهذا أعلن الميثاق ان الاشتراكية التى نتبعها اشتراكية علمية .

ثم كان القانون فى الميثاق . . . وقد تعلمنا من قبل أنه اذا سرق الجائع رغيفا أدانته القانون ووضع فى السجن . اما اذا حول الملك أموال الاوقاف الخيرية الى أمواله الخاصة فالقانون يحميه . . . والعامل أو الفقير الذى يسرق لشراء دواء لابنه ينبذه المجتمع باسم القانون أما صاحب رأس المال الذى يسرق جهد العمال لينبئ ملايين الجنيهات فالقانون يحميه والمجتمع يبخله .

هذا القانون الذى وضعته الطبقات الرأسمالية فى أثناء تطور نمو الرأسمالية فى أوروبا لحماية جشعها . . . والذى نقلناه الى محاسننا . . . يجب أن يتغير . . . وهذا ما نص عليه الميثاق .

ان القانون يجب أن يكون فى خدمة الناس جميعا ، لا أن يكون أداة فى يد طبقة لاستعباد واستغلال طبقة أخرى . . . ولهذا كان لا بد من تغيير القوانين حتى نبسط للفقير حقه فى الحياة ، فاذا أخطأ بعد ذلك وجبت محاكمته . . . اما أن تسلبه لقمة العيش ونحاكمه على سرقتها ، فهذا يتنافى .

مع أبسط المعاني الانسانية .. وأما أن نحرمة العلاج والدواء ونحاكمه  
إذا أراد أن ينتزع حقه في الحياة .. فهذا ظلم اجتماعي لا يمكن أي قانون  
عادل أن يأخذ به .

ان القانون المدني والقانون الجنائي والاجراءات التي تتخذ في المحاكم  
لتعقيد الأمور أمام الفقير لاسترداد حقوقه .. هذه القوانين التي أخذناها  
عن الدول الرأسمالية والتي كانت تهدف الى حماية فئة الرأسمالية وهي  
تنتزع حقوق الجماهير في الحياة .. هذه القوانين أصبحت من اليسوم  
موضع نظر ، فهي لا يمكن أن تتلاءم مع أوضاعنا الجديدة .. وتطورنا  
نحو المستقبل .

فحماية القانون يجب أن تكون للملايين الناس ، لا أن يكون القانون  
أداة استغلال وبطش في يد قلة من الاستغلاليين .

**ودرس آخر جديد .. يقول :**

**« العامل سيد الآلة » ..**

وهذه الكلمة البسيطة تحمل في طياتها الكثير من التغيرات التي  
حدثت وتحدث في مجتمعنا منذ ثورة يوليو ٥٢ .

لقد كان العامل في الماضي عبدا للآلة .. فاذا توقفت الآلة توقف  
عمله وانقطع أجره .. واذا زادت الآلة من إنتاجها زاد أجره واذا حدثت  
أزمة وأرغمت الآلة على الصمت توقفت حياة العامل .

كل هذا كان يحدث نتيجة لنظام الاستغلال القائم على تقديس رأس  
المال وامتيازات أصحاب رؤوس الأموال .

وجاء الميثاق ليضع الأسس النظرية للتغيرات الاجتماعية التي حدثت  
خلال العشر الماضية .

ملايين الفلاحين أصبحوا يملكون الارض .. وآلاف العمال ينتظمون  
داخل المصانع .. وهكذا دخل الملايين الى المجتمع أسيادا وليسوا عبيدا .

لم يعد المجتمع هو جماعة الأثرياء وأصحاب القصور ، بل تغير وجه  
المجتمع واحتل العمال والفلاحون المكان اللائق بهم .. وليس معنى ذلك  
أن العمال والفلاحين أصبحوا في مكان الاقطاعيين والرأسماليين .. ولكن  
النظرة الجديدة للمجتمع هي المساواة بين الناس جميعا .

وهكذا وضع عبد الناصر الأسس ليقرر المساواة ، فالإنسان الذي  
يولد في الحياة متساويا في كل شيء ثم تجعل الثروات من البعض عبيدا  
لللبعض الآخر .. هذه النظرة تتحطم لتحل مكانها أسس جديدة للمجتمع  
أسس تحترم الإنسان وتسوى بين البشر ، ولن يكون هناك فضل لإنسان  
على أخيه الإنسان الا بعمله .

فالميثاق يضع أسس العلاقات الجديدة فالاحترام لن يكون لصاحب  
العربة الفخمة أو القصور الكبيرة ، ولكن احترام الناس بعضهم لبعض  
سيتوقف على مقدار عملهم وجهدهم في سبيل خدمة المجموع .



ويقضى الميثاق على الامتيازات الطبيعية .. كما يقضى أيضا على  
التفرقة بين العمل اليدوى والعمل الفكرى .. وبذلك يرفع العمل اليدوى  
الى مستواه اللائق به ..

كما يقضى الميثاق على العناصر الطفيلية التى تعيش على جهد الآخرين  
دون أى جهد أو عمل .. ان الميثاق يفتح الطريق أمام أسس جديدة  
للعلاقات ويضع الخطوط الاولى لقيم أخلاقية جديدة .

والميثاق يؤكد الثقة بالشعب . وليس لنا أن نخاف رواسب الماضى  
لنعتقد أن الشعب لم يصل بعد الى المستوى الذى يجعله كفئا لحمل  
المسئولية .

وليس هذا الشك أو الخوف مقصورا على ثورتنا .. ففى كل الثورات  
التي حدثت عبر التاريخ نجد قادة فكريين وسياسيين يقفون مترددين فى  
ذعر وخوف مشفقين من قدرة الشعب على تحمل المسئولية .  
ولكن الذى كان يحدث ، ان الشعب كان يحمل المسئولية كاملة ..  
على حين ينتكص الذين كانوا يشفقون عليه تماما كما أن وقوف الشعب  
بعيدا عن العمل السياسى والفكرى لم يكن نتيجة قصور بل كان هذا  
يحدث تحت تهديد السلاح وبطش الطغاة .

والسياسة ليست الا العمل فى سبيل الجماهير ، والجماهير التى  
تعرف حقها كاملا والتي خاضت معارك عنيفة عبر التاريخ ضد الأقطاع  
والاحتكار كفيلة بأن تتقدم لتحمل المسئولية .

ان الايمان بالشعب ليس مشكلة الشعب ، ولكنه مشكلة أصحاب  
النظريات .. ولقد حسم الميثاق المشكلة بأن أراح من أمام الجماهير العوائق  
التي كانت تسد الطريق أمامهم .

ولم تكن هذه هى وحدها كل الدروس الثقافية الجديدة التى قدمها  
رائد الفكر العربى فى الميثاق .. فثمة أشياء أخرى كثيرة ..  
يقول عبد الناصر فى الميثاق :

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح  
للتقدم . ان أى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود ،

بهذه الكلمات الحاسمة ، حدد الرئيس طريقنا الى الاشتراكية فلم  
يعد هناك مجال للاستفسار أو السؤال .

فالاشتراكية التى نتجه اليها لا تقوم على النيات الحسنة أو الهبات  
ولكنها تقوم على أساس علمى له شكله السياسى وتخطيطه الاقتصادى ..

فكما يقول الميثاق .

« ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد  
أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » .

ولذلك ..

« ان التخطيط الاشتراكى «الكف» هو الطريقة الوحيدة التى تضمن



استخدام جميع الموارد الوطنية ، المادية والطبيعية والبشرية بطريقة علمية وعلمية وإنسانية لكي تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية ،  
فالفكر العربي الآن مسئول عن دراسة وفهم الاشتراكية العلمية .

وكما ينص الميثاق :

«ان التجارب الاجتماعية لاتعيش في عزلة بعضها عن بعض ، وانما التجارب الاجتماعية - كجزء من الحضارة الانسانية - تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق .

«انها قابلة للانتقال لكنها ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراسة المفيدة ، لكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار »

بهذا التوضيح يتبين موقفنا من الاشتراكية العلمية ، فمهمة الفكر العربي اليوم هي العودة الى التراث الاشتراكي لتبين من خلاله طريقنا بالدراسة والشرح .

وننتقل من الاشتراكية العلمية الى الصراع الطبقي . . فالاشتراكية العلمية هي التي تفسر لنا معنى التطور التاريخي خلال الصراع الطبقي .

ولقد ظلت كلمة الصراع الطبقي محظورة من القاموس السياسي ممنوعة من التداول ، محرمة في المناقشات ، ولم تبدأ في احتلال مكانها الا منذ سنوات الثورة ، ثم جاء الميثاق ليؤكد وجودها .

ولعل الاشاعات والاكاذيب والتفسيرات المضللة الخادعة هي التي جعلت كلمة الصراع الطبقي من المحظورات .

فكلمة الصراع الطبقي ظلت مرتبطة بالصراع الدموي ، وكأنهما متلازمان . والحقيقة ان الصراع الطبقي ليس معناه اطلاقا الصراع الدموي . ولكن الاستعمار شاء ان يربط بين المعنيين حتى يحجب عنا الحقيقة .

وحقيقة كلمة «الصراع الطبقي» انها تعطينا تفسيراً للتطور التاريخي فالاحتكار طبقة . . والاقطاع طبقة . . والرأسماليون طبقة . . والعمال طبقة . . والفلاحون طبقة . . والصراع بين هذه الطبقات هو تطور التاريخ

فكلمة الصراع الطبقي تكشف لنا حقيقة عداوة الاحتكار العالمي أو الاستعمار للطبقات الوطنية والشعبية الشريفة . . كما تكشف لنا أيضا عن سر ارتباط الاقطاع والنظم الملكية الرجعية بالطبقة الاحتكارية العالمية

وهي في الوقت نفسه تكشف لنا عن ميزات ارتباط الطبقات الوطنية والشعبية في صراعها ضد قوى الاستعمار والرجعية .

اما الصراع بين الطبقات الرأسمالية الوطنية والطبقات الشعبية . . فالطريق الاشتراكي يتيح الفرص لحل الصراع الطبقي سلميا بطريق اذابة الفوارق بين الطبقات .

وعلى هذا الاساس يتبين لنا ان كلمة «الصراع» لاتعني اطلاقا الصراع

الدموى .. فهناك صراع فى الفكر ، وصراع فى الراى .. وهناك الصراع  
ضد الامراض والصراع ضد الجهل .

ولكن الاستعمار والرجعية شاءا أن يجعل من الصراع الطبقي ..  
صراعا دمويا من أجل حجب الحقيقة عن الشعوب .

«الميثاق» الذى تحدث عن الصراع الطبقي حله سلميا ، انما يفتح  
الطريق أمامنا لمنهج جديد فى البحث والدراسة-واعادة كتابة تاريخنا ،  
ومشكلاتنا الاقتصادية على هذا المنهج العلمى .. كما انه يفتح الطريق من  
جديد لتفهم ثورتنا على حقيقتها ، حتى نستطيع أن نلبى مطالبها فى هذه  
المرحلة الهامة والحاسمة من تاريخنا .

ويجر الحديث عن الصراع الطبقي الى ما تناوله الميثاق عن المعسكر  
الشيوعى .

فانجلترا تعترف بالصين وتبادل معها كل ما تريد سواء كان  
اقتصاديا أم ثقافيا .

وانجلترا اعترفت بالاتحاد السوفيتى بعد ثورة أكتوبر الشيوعية  
بسنوات قليلة .

والغرب كله يعترف بالمعسكر الشيوعى ويتعايش معه سياسيا  
واقتصاديا وثقافيا .

أما نحن .. فلم نعترف بالاتحاد السوفيتى الا عندما سمحت لنا  
انجلترا بذلك خلال الحرب العالمية الثانية .

.. ولم نعترف بالصين الشعبية الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢

وكانت كلمة المعسكر الشيوعى ترعب الناس ، وتخيف المفكرين  
وترهب أصحاب الاقلام .

وخلال سنوات طويلة لم نكن نعرف أو نعلم عن المعسكر الشيوعى  
الا الحرافات والأكاذيب التى يطلقها المعسكر الاستعماري أو أذنابه من  
الرجعية .

وعلى الرغم من العلاقات التى توطدت فى السنوات الاخيرة بين  
الجمهورية العربية والمعسكر الشيوعى سواء أكانت سياسية أم اقتصادية  
أم علمية فان الاعتراف بهذا المعسكر كقوة لها مكانتها فى العالم سواء  
أكان عسكريا أم اقتصاديا كان يتردد فى همس وخوف وكان الحقيقة يجب  
أن تواد ..

ولقد كان من البديهي أن يعمل الاستعمار على عزلنا عن المعسكر  
الشيوعى لينفرد بنا ويتحكم فىنا ويسيطر علينا .. وبذلك نظل أسرى  
لعلاقاته الاقتصادية ، خاضعين لارهابه العسكرى مستسلمين لعدوانه .

ولكن هل يمكن بعد تحررنا أن نظل فى هذه الاوضاع الذليلة ..

لا نتحرك ولا نعرف شيئاً عن المعسكر الشيوعي إلا ما يمليه علينا الاستعمار بمفاهيمه المسمومة .

لقد تحركنا كثيراً . . . وتحركنا من أوهام كثيرة ، ولكن آثار الماضي كانت مازالت مهيمنة على كثير من القطاعات وجاء الميثاق ليعلن :

« ان أبرز التغييرات التي طرأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولاً - تعاظم قوة الحركات الوطنية .

ثانياً - ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة .

ثالثاً - التقدم العلمي ، الهائل . . .

وهكذا يعلن الميثاق أن ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادي والمعنوي يوماً بعد يوم في مواجهة المعسكر الرأسمالي يعد من التغييرات الضخمة التي أتت معها بظروف جديدة تؤثر تأثيراً لا جدال فيه على العمل من أجل أهداف النضال الوطني لكل الأمم ، بما في ذلك أهداف الأمة العربية .

هذه الكلمات الصريحة الواضحة ، تفتح الطريق أمام الحقيقة المرهوبة لتشق طريقها في مجالنا السياسي والثقافي والعلمي .

فالمعسكر الشيوعي الذي يتزايد انتاجه الاقتصادي في المجال العالمي والذي بلغ هذا التفوق العلمي الكبير ، لم يعد في الامكان انكاره والاعشينا في عزلة سخيفة .

والميثاق الذي تحدث بصراحة في هذا الموضوع ، انما يطالبنا أن نتابع التطورات التي تحدث في المعسكر الشيوعي كما عودنا أن نتابع تطورات المعسكر الغربي .

ولم يعد أمام أصحاب الفكر والقادة الشعبين الا أن يتلفتوا الى هذه التطورات المادية والمعنوية لينقلوا آثارها الى جماهير الشعب .

ويتحدث عبد الناصر في الميثاق عن الاستعمار فيقول :

« ان الاستعمار الذي مازال متمسكاً بأهدافه ، غير أسلوبه » .

وهكذا يؤكد لنا أو يذكرنا بأن المعركة ضد الاستعمار لم تنته . بعد وأن التناقض الرئيسي ما زال متمسكاً بأهدافه لن يُلجأ الى العدوان المباشر كما فعل في حرب السويس ، ولكنه غير أسلوبه ، ولذلك فان اليقظة والحذر من أهم متطلبات المرحلة الحالية في كفاحنا من أجل تطور حياتنا وبناء مستقبلنا .

وهذا التحديد من الرئيس في الميثاق انما يرسم المنهج ويضع حواجز للجدل الذي ثار منذ نهاية حرب السويس . . . هل انتهت المعركة ضد الاستعمار أم مازالت قائمة ؟

وحسم الميثاق الجدل .. ولذلك يجب أن نضع في مجالنا الفكرى والسياسى والعملى التخطيط اللازم لمواجهة مؤامرة الاستعمار وأعوان الاستعمار .. فان حماية البناء الاشتراكى تتطلب اليقظة ضد المؤامرات والعمل لكيلا تمتد النكسة التى حدثت فى أجزاء من العالم العربى .

ان الاستعمار لن ينتهى الا بالانهيار التام .. والذين ربطوا حياتهم بحياة الاستعمار لن يئسوا فى استرداد ما فقدوه الا عند ما يستسلم الاستعمار نهائيا .. ولن يستسلم الاستعمار الا عندما ينتهى بناؤه الاحتكارى على أبشع أنواع الاستغلال وغزو الاسواق .

فاذا كنا نؤمن :

« أن التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » .

يجب أن نذكر دائما أن هناك من لا يزال يؤمن بالتفرقة بين الناس .. وان هناك نظما مازالت تعيش عن طريق النهب والسخرة .. ويجب أن ننتبه دائما حتى لانقع بين أيدي الوحوش البشرية من مصاصى الدماء وأكلة لحوم البشر ، والذين يتلذذون بشرب عرق الآخرين ونهب قوتهم .

والحديث عن الاستعمار ، يجرنا الى تناول مشكلة الرجعية وهى التى لم يغفلها الرئيس فى الميثاق بل أعلنها صريحة .

« أن الرجعية مازالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ما قد يفريها بالتصدي للتيار الثورى الجارف خصوصا فى اعتمادها على الفلول الرجعية لى العالم العربى ، المستورد من جانب قوى الاستعمار .

ان اليقظة الثورية كفيلة تحت كل الظروف بسحق كل تسلسل رجعى مهما كانت أساليبه ومهما كانت القوى المساعدة له » .

فالرجعية مازالت موجودة ماديا وفكريا .. فهى الاخرى لم تستسلم وان كانت تقبع منكشمة تعمل فى الظلام وترقب الفرصة المناسبة لتبستر أراضيها .

والرجعية فى عجزها لاقتوانى عن بث أفكارها المسمومة بالاشاعات والاكاذيب .

فالرجعية فكر ثرى ونشأ وارتبط بالاستعمار والاستغلال ، وهى ذات قيم منحلة لا تتورع عن الانقضاخ بأبشع الصور .. ولن تتوانى عن أن تضرب من الخلف لو أتيحت لها ثغرة تنفذ منها .

ولهذا ، لم يغفل الميثاق التنبيه الى خطر وجود الرجعية ، حتى يمكن أن ينشأ فكر جديد يجتث جذور الفكر الرجعى ، وان ننتبه فى العمل السياسى الى خطورة الرجعية .

هذه الحقائق التى عرضها الميثاق مع عشرات من المشكلات والمهام



السياسية والاقتصادية والفكرية .. من المستول عن تبنيها وحمل عبء القيام بها ؟

لقد نص الميثاق ..

« ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي العربي يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتجسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

فالجهاز السياسى الجديد لا بد أن يكون واعيا للدور الذى يقوم به فهو قدوة وليس قيادة فحسب .. فلن تكون مهمته المراقبة بل مهمته هى التوعية والتوجيه والمبادرة الى العمل .

وهذا الجهاز لن يستطيع القيام بمهامه الا اذا كان مسلحا فكريا وواعيا للمرحلة التى نمر بها ، مؤمنا بدوره .. واثقا من قدرات الشعب .

هذا الجهاز السياسى ضرورة للشعب حتى يجمع الجماهير نحو أهداف الثورة ويدفعها الى البناء بحماس لبناء الغد .. وهو ضرورى لبث الوعي والفكر السياسى الذى يقود عمل الجماهير .

والثورة فى سيرها فى حاجة الى هذا الجهاز الذى يتلقى منها اشارات العمل ويتنقل بين الجماهير ليكون الصلة بين قيادة الثورة وجماهير الشعب ولن يكون هذا الجهاز أداة للرقابة ولكنه أداة للتوعية وبث الحماس وتجنيد الملايين لبناء المستقبل الافضل .

وبعد ، فان الميثاق كما أعلنه عبد الناصر ، قد بلور كل تجارب شعبنا فى السنوات العشر الماضية ، وفتح الطريق امام تجاربه فى السنين الطويلة القادمة التى سيخوضها شعبنا مسلحا بايمانه العميق ، وثورته الأصيلة ، وقيادته المتمثلة فى رائده العظيم ..

ان الميثاق ، هو ميثاق للعمل ومرشد للكفاح ، ومن أجل ثلاثة أهداف كبرى يقودنا اليها جمال عبد الناصر : الحرية والاشتراكية والوحدة ..

وفى الميثاق ضمان لوضوح النظرية التى ترسم طريق العمل

وفى القيادة المتمثلة فى جمال عبد الناصر ضمان للسير فى طريق العمل بلا تردد .. وهو طريق طويل .. طويل ، ولكن شعبنا لن ينحرف عنه قيد أنملة .. لأن جمال عبد الناصر هو رائد الطريق !!





منذ أربعمئة عام فرقت بين الشمال والجنوب سنابك خيل الغزاة  
العثمانيين ، وقسمتهما « ايالات » عثمانية يحكم كلا منها « باشا » يتلقى  
الفرمان من استامبول ، ويرسل عرق الشعب وجوعه وحرمانه وشقاءه الى  
صاحب العرش وغلمانه وجواريه في - استامبول - على هيئة مجوهرات  
وذهب وفضة وخيرات يسبح فيها صاحب العرش وغلمانه وجواريه .

ومضت أربعة قرون طوال ، امتصت فيها السلطنة العثمانية دماءنا  
وفرقت بيننا وصنعت من البلد الواحد عدة بلدان . . .

ثم جاء الرجل الأبيض . . . جاء الاحتلال الاوربي ليرث الاحتلال  
العثماني . . . ويعزز أسباب التفرقة ويزيد عوامل الانفصال .

واقطع الاستعمار الاوربي فلسطين واعطاها الصهيونية ، وقصل  
بذلك أرض مصر عن أرض الشام ، وامتلا ثقة بعد ذلك بأنه لا لقاء الى  
الأبد بين دمشق والقاهرة . . .

ولكن القاهرة ودمشق التقتا ، بالرغم من أربعمئة عام من الاحتلال  
العثماني ، وبالرغم من قطع الطريق برا بين مصر والشام وتسليمه الى  
عضابة مسلحة من الصهيونيين . . .

كيف حدثت هذه المعجزة ؟

ان السماء لا تمطر معجزات على الشعوب ، لأن المعجزات دائما من  
صنع الشعوب . . . ولا يوجد شعب يستطيع أن يصنع المعجزة كما يصنعها  
السحرة والخواة . . . فلا بد لكل معجزة يصنعها الشعب من ثمن كبير  
يؤديه الشعب . . .

ولكن شعبنا كثيرا ما بدل الاثمان الفادحة ليصنع معجزة الحسرية  
والاستقلال والوحدة . . . فلم يجد الى ذلك سبيلا ، ولم يخرج من معاركه  
الطويلة خلال القرون الأربعة الماضية الا بالجراح الدامية والأمل الخائب  
والياس المرير . . .

ثم أن للمعجزة أن تتحقق . . .

واستجابت السماء دعاء الملايين من شعبنا في اجيالهم المتعاقبة عبر



القرون الأربعة الحالكة .. استجابت السماء لهم فوهبت لكفاحهم القائد  
الذى تتحول المعركة على يديه الى انتصار ، ويتحول الانتصار الى حرية ،  
وتتحول الحرية الى معجزة تحقق حلم شعبنا القديم .. حلم الوحدة بين  
الشمال والجنوب ..

وهكذا بدأ دور جمال عبد الناصر فى حياة شعبنا ، بعد مخاض  
طويل فى ظلمات العبودية واليأس والظلم والطغيان ..

ان جمال عبد الناصر هو الذى صنع هذا الشئ الرائع الذى حدث  
فى بلادنا لأول مرة منذ أربعمئة عام ..

انه هو الذى صنع الوحدة بين الشمال والجنوب ، عندما استجاب  
لنداء الشعبين السوري والمصرى ..

وجمال عبد الناصر لم يبتكر الوحدة بين مصر وسوريا ، فان هذه  
الوحدة صلة موغلة فى القدم بين الاقليمين ، وقد كانت موجودة قبل  
مولد جيل عبد الناصر كله بألوف السنين !

الا أن ارادة الوحدة التى ثارت فى صدور الملايين فى الشمال  
والجنوب ، لم تجد من يضعها موضع التنفيذ الا جمال عبد الناصر ...  
البطل الذى تم على يديه شئ خارق لم يحدث فى بلادنا منذ أربعمئة  
عام .. تمت على يديه معجزة جمعت ممثلى مصر وسوريا معا فى عاصمة  
واحدة ، تحت راية واحدة ، متجهين الى هدف واحد ..

ان هذه الوحدة التى فرضها شعب سورية ومصر على قيادته القومية  
المؤمنة بأهدافه ، لا ينتقص منها تلك النكسة الانفصالية التى قامت  
وانتصر فى الجولة الأولى منها عملاء الاستعمار

فالوحدة هى الخطوة المنطقية التى قاد التاريخ شعبنا اليها ، بشئ  
يشبه الالهام ..

ان شعبنا بغريزته لا يخطئ الطريق الصحيح ، لأن فى أعماقه الهاما  
عجيبا يضئ له كل الطرق ، فيعرف أيها الهدى سبيلا ، وأيها يبلغ به هدفه  
العظيم ..

وهكذا اختار الشعب فى سورية ومصر الوحدة لأنها طريقه الخاصة ،  
لم يمهدها له أحد ، ولم يشر عليه بالسير فيها أحد ، ولم يعلق له على  
جانبيها المصابيح أحد ..

كل ما حدث هو أن جمال عبد الناصر استطاع أن يفتح عيون الشعب  
العربى على الطريق الصحيح ..

وعلى ضوء الهدى الجديد استطاع الشعب أن يرى نفسه ، وطوال  
الأيام الأولى التى استمرت فيها الوحدة تبدلت أحواله تماما .. تبدل  
مصيره .. انتهى نحسه القديم .. لقد تحول الشعبان الى شعب ينعقد  
الخير بيديه ، ويفتح له المستقبل جميع أبوابه !

ومع الوحدة ، زادت الصناعات في سورية ومصر ، وكانت تزداد نموا كل سنة ، وراحت الميزانية تتضخم وتكبر وتتسع مواردها ، كما تتسع وجوه نفقاتها لخير هذا الشعب ومصلحته ورخائه ومجده !

وجيشنا أصبح أكبر قوة في الشرق الأوسط .. وبعد أن كانت إسرائيل «بعبع» العرب الضعفاء ، أصبح العرب بعبع إسرائيل ، لأنهم صاروا أقوياء ..

ومع وجه شعبنا الذي يبرز وسط هذه الاحداث التاريخية ، يبرز وجه قائد هذا الشعب ، الذي كان مهندس جميع هذه الانتصارات ، وملهم الشعب ، ورائده في الطريق الذي تقف على جانبيه ذئاب الاعداء تريد أن تتخطف أمتنا السائرة فيه !

وعندما استطاع الاعداء أن ينتكسوا بالوحدة .. وحاولوا أن يمزقوها ويطعنوها ، ثم جدوا في محاولاتهم خلق صدام بين أبناء الشعب الواحد .. وقف عبد الناصر وقفته الخالدة ...

### فوق الآلام ، وفوق الجراح ..

« وكان هذا هو الموقف التاريخي الكبير للشعب العربي بقيادة زعيمه البطل جمال عبد الناصر .. في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ العرب وتاريخ المعركة التي تخوضها العرب ضد اعدائها المتربصين بها من الخارج ، والمنسسين بين صفوفها في الداخل .. »

ولم يكن هذا الموقف التاريخي الكبير ، مجرد بطولة رومانتكية للشعب العربي وزعيمه ، في المناسبة التاريخية العاصفة التي اقتضت هذا الموقف ..

فقد انتهى تماما زمن البطولات الرومانتيكية في دنيا الكفاح العربي ، منذ تسلم زمام قيادتهم وزعامتهم جمال عبد الناصر .. البطل الخيالي البطولة ، ولكنه في الوقت نفسه .. البطل الواقعي الذي يرى بكل وضوح معالم الحقائق حواله ، ويلمس مادتها الصلبة .. ويتخذ منها المواقف الصحيحة .. النبيلة ، المتسمة بكل اثار البطولة الرومانتيكية الرائعة ،

ولكن .. بواقعية تامة ، وعقل واسع عميق خال تماما من الأوهام ! والشامتون من اعدائنا ، كالصهيونيين والاستعماريين والعملاء الذين اعتبروا أن موقف عبد الناصر وشعبه فوق الآلام ، وفوق الجراح ، موقف بالغ النبل الى حد الاقتراب من مواقف الفروسية القديمة ، التي لم تعد الان مواقف عملية .. هؤلاء الشامتون المعادون للعرب والعروبة ، ولزعيم القومية العربية بوجه خاص ، توهموا أن عبارة عبد الناصر الخالدة التي عبر بها عن آله الانساني الحقيقي الذي لا يمكن انكاره .. ثم عبر بها عن تساميه فوق هذا الألم .. توهموا أن هذه العبارة تدل على أن القومية العربية لم تلتصق في كفاحها بواقع الحياة ، وحقائق العالم الذي يعيش فيه الناس ويتقاتلون ويشفك بعضهم دماء بعض .. ولأن كانوا ذوي قربي أو كانوا اخوة أشقاء ..

وقد أخطأ أعداء القومية العربية في فهم نفسيّتها ومثلها الأخلاقية الرفيعة ، عندما حققت القومية العربية انتصاراتها الباهرة خلال السنوات العشر الماضية بقيادة عبد الناصر

في ذلك الوقت الذي هو على مرمى بصرنا ، ظل أعداء القومية العربية يرمونها بالتعصب العنصري والاستغلال والوحشية والرغبة في سفك الدماء .

لهذا رفع الأعداء عقائدهم وكأنهم يحتجون على أن عبد الناصر ، أطلق في وجه الأزمة الانفصالية الرجعية ، صيحته الخالدة :

« فوق الآلام ، وفوق الجراح » .. ولم يطلق بدلا من هذه الصيحة النبيلة صيحات أخرى كان أعداء قوميتنا يودون سماعها في هذه الأزمة الانفصالية التي صنعها أعداء العرب وعملاؤهم !

لو أن عبد الناصر استسلم للمرارة في هذه الأزمة وهو شعور إنساني طبيعي - لهلّل أعداء القومية العربية ، واتخذوا من ذلك حجة كبرى على ما يريدون ترويجه من أباطيل وأراجيف حول القومية العربية وقائدها ورائد كفاحها العظيم .

أما وقد وقف جمال عبد الناصر ، يطلب إلى الشعب العربي أن يرتفع ساعة الألم ، فوق الجراح والآلام ، فإن الاستعمارين والصهيونيين أبدوا دهشتهم وخيبة أملهم ، لأن جمال عبد الناصر ، في أشد ساعات الأزمات ظلاما ، لم يشأ أن يعطي الظالمين من المستعمرين وعملائهم فرصة .

ولم يكن جمال عبد الناصر ، حين ارتفع مع شعبه فوق الآلام والجراح ، يمارس بطولة رومانتكية مجردة ، كما يتوهم خصومنا ، بل كان في الواقع يقف مع شعبه في مستوى الحادث التاريخي الجسيم الذي وقع . إن ارتفاع عبد الناصر وشعبه فوق الجراح والآلام ، مواجهة واقعية للحقائق التي اجتمعت في الأزمة الانفصالية الرجعية التي انفجرت في دمشق ..

ولم يكن ثمة بديل لهذه المواجهة الواقعية للموقف الحاد ، إلا مواجهته بالعنف ..

وعندئذ يرفع العربي السلاح في وجه أخيه العربي ، ويسفك الشقيق دم شقيقه ..

ولو أن عبد الناصر ، لم يكن شديد الواقعية في النظر إلى الأمور ، لانساق وراء نداء العنف ، ولتدفق فوق الأرض العربية سيل من الدم العربي .

ولكن عبد الناصر ، يعرف يقينا أن الدم العربي لن يجري إلا في التحام دموى لتقرير المصير العربي حين يصبح لامفر له من الالتحام بأعدائه المتربصين به في طريق حرّيته ووحدته ليمنعوه من بلوغ غاية هذا الطريق الطويل ..



وعبد الناصر ينظر الى الأمور كلها نظرة شاملة ، كانه ينظر من فوق جبل .. انه « ضقر العرب » الذي يرى لهم وهو مخلق في السماء أبعادا شاسعة ، هي أبعاد مستقبلهم الذي يرتاد لهم طريقه الوعر الشاق ..

وهذه النظرة الشاملة للأمور ، هي التي جعلت عبد الناصر ، لا يعطى الانقلاب الرجعي الانفصالي في دمشق أكثر مما له من الخطورة .. فقد كان يلا ريب حدثا خطيرا جسيما ..

ولكن مهما كانت خطورته وجسامته ، فان النظرة الشاملة للأمور - نظرة عبد الناصر - قد وضعت هذا الحادث بكل خطورته وجسامته ، بر موضعه الصحيح بلا زيادة ولا نقصان .. وأدركت بجلاء أنه مامن حادث ضخم ينفجر في دنيا العرب الواسعة ، يمكن أن يكون - على المدى الطويل - أكثر من جسر ينهار فوق النهر الجارى للقومية العربية ، ومهما تكن ضخامة هذا الجسر ، ومهما يكن الدوى الذي أحدثه عندما انهار ، فان من الممكن اصلاح أمره ، ثم مواصلة السير في الطريق العربي الممتد الى آخر مدى للأمال العربية !

وهكذا لم يكن عبد الناصر عندما طلب الى الشعب العربي أن يرفع فوق الجراح والآلام ، يمارس بطولة رومانتكية ، كما يزعم أعداء العرب ، بل كان يمارس واقعية صرفه ، تلتصق بالواقع الى أقصى حد ، ولا تغفل لحظة عن مقتضيات الواقع .

ان واقعنا القومى كله كأمة عربية تناضل في سبيل حريتها ووحدةها ، قد فرض موقف الأخوة النبيل الذي وقفه عبد الناصر في الأزمة الانفصالية الرجعية العميلة للاستعمار ، قد ثبتت مواقعها في الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة .

وصحيح أن المباغثة الغادرة التي لجأ اليها الانفصاليون العملاء ، قد أعطتهم ربعا مؤقتا ، وأكسبتهم أول جولة ..

ولكن .. متى كانت معارك التاريخ الكبرى تتقرر بجولة أولى أو ثانية أو ثالثة ؟

ان عبد الناصر لم يكن يناضل من أجل اتحاد مصر وسورية فقط .. فلو كان اتحادهما هو غاية جهاد عبد الناصر ، ماكان لهذه الغاية مضمون ثورى عربى .. ولكن عبد الناصر يجاهد من أجل القومية العربية بأوسع معانيها .. يجاهد من أجل أمة عربية واحدة تتحرر وتستقل وتسلك طريق التطور والعدالة الاجتماعية . وتساهم في خدمة النوع الانسانى كله .

وهذه الرسالة الكبيرة ، التي قلما حمل مثلها زعيم من زعماء التاريخ ، لا يتقرر مصيرها بعمل طائش تقوم به عصابة مفتونة باغية لا ترى الا مصالحها الشخصية في أضيق الحدود ، بغض النظر عن جميع مصالح الشعب الكبرى .



ولهذا فإن انتصار عبد الناصر سيجتاز طريقا طويلا مليئا بالعواصف  
والخواجز والمفاجآت والتضحيات والآلام والجراح ..

وقد عقد عبد الناصر عزمه على أن يرتفع دائما فوق كل هذه الآلام  
والجراح والتضحيات ، ويتخطى دائما خواجز الطريق ، ويصمد لعواصفه ،  
ويتمالك جاشه أمام مفاجآته ..

فهذه الآلام والتضحيات والخواجز هي علامات الطريق النبيل الذى  
يسير فيه عبد الناصر . .

وقد اعتاد منذ عشر سنوات أن يرى هذه العلامات فى طريقه ، فاد  
يتوقف عندها .. انه فقط يذلها أو يزيلها أو يهزمها .. ولكنه لا يقف  
عندها ، ولا يفكر فى الوقوف ..

والذين دهشوا للثبات الرائع الذى أبداه زعيمنا البطل فى مواجهة  
غدر العصابة الانفصالية الرجعية ، كان مبعث دهشتهم انهم لم يستطيعوا  
أن يعيشوا تجربة عبد الناصر .. كما يعيشها هو ..

ان الثبات فى مواجهة الغدر والخيانة وكل المفاجآت الأخرى ، هو  
السلاح الذى يهزم به عبد الناصر عقبات الطريق .

وعلى هذا الضوء ، نستطيع أن نتبين منذ الآن بمسير الانقلابيين  
الرجعيين فى سورية .

لقد نجحوا بعض الوقت فى تحقيق أطماعهم ومؤامراتهم وأقاموا  
لأنفسهم حكومات «كرتونية» يزعاها الاستعمار .. ثم انتفض الشعب وطود  
الذين قاموا بالحركة .. ولكن الآخرين الذين حلوا محلهم أبوا إلا أن  
يكونوا فى وضع لا يحسدون عليه ..

ولكن ...

.. هل انتهت الوحدة ؟

.. هل أصبحت سورية فى واد .. ومصر فى واد آخر ؟

.. وهل كان الحديث عن القومية العربية خرافة أو حلما تبخر  
بمجرد قيام الحركة الانفصالية فى سورية ؟

لقد أجاب الرئيس جمال عبد الناصر على هذه الأسئلة عقب حركة  
الانفصال بقوله :

« ليس هناك وقت يدعونا للتمسك بعرويتنا أكثر من هذا الوقت »

ثم قال فى اليوم التالى .

« لا بد أن تكون النكسة نقطة بداية لانطلاقة جديدة من أجل كل  
أهدافنا »

.. وهكذا عرض الرئيس المشكلة .. ووضع الحل ..

فالوحدة ضرورة حتمية فرضها التطور التاريخي للشعب في سورية  
وفي مصر .. ولم تكن الوحدة شهوة طارئة .. أو نشوة غالبة .. ولكنها  
تمت استجابة لظروف تفرضها وتحنم وجوها ..

.. ظروف العدوان على مصر ... التي دفعت الشعب السوري الى  
نسف أنابيب البترول التي تمر بأراضيها

وظروف التجمعات التركية على حدود سورية وتحركات الاسطول  
السادس الأمريكي ومؤامرات الاردن ..

لقد كانت في مصر حركة وطنية بلغت ذروتها .. وكان في سوريا  
أيضا حركة وطنية ملتهبة .. وتعرضت الحركة الوطنية في كل من سوريا  
ومصر للمؤامرات والعدوان والتهديد ..

فهل كان هناك مفر من وحدة تجمع الشعبين في نضال واحد ،  
وكفاح مترابط ضد قوى الرجعية والاستعمار ..

فالظرف التاريخي .. أو الأخطار التي كانت تهدد الشعبين هي  
التي صهرت هذه الوحدة .. وهي التي خلقتها وكونتها ..

فهل انتهت الحركة الوطنية في كل من القطرين ؟ وهل انتهت  
الأخطار ؟

اذن لماذا حدث الانفصال ؟

انها « النكسة » كما عبر عنها الرئيس ..

فالحركة الوطنية لم تبلغ غاياتها .. والاسطول السادس كان يجول  
جنباً الى جنب مع الاسطول البريطاني حول المياه العربية .. والمؤامرات  
كانت ما تزال قائمة فلماذا حدثت « النكسة » ؟ وكيف تجمعت الرجعية  
... وحدث الانفصال ؟

ثم .. أي نوع من الانفصال هذا الذي حدث ؟

لقد قامت في سورية حكومات رجعية .. ولكن هل قيام هذه  
الحكومات فصل بين الحركة الوطنية في سورية والحركة الوطنية في مصر  
.. وهل استطاعت هذه الحكومة أن تقف حائلاً بين وحدة الاهداف للشعب  
في سورية والشعب في مصر .. لقد قالها الشعب السوري قبل أن تمضي  
ستة شهور على الانفصال حين أطاح بالانفصاليين الذين قادوا حركة  
المؤامرة ..

ومع ذلك .. فالوحدة مازالت قائمة

- الأخطار التي تهددنا في مصر ما زالت تهدد شعب سورية ..

- والاهداف التي نسير اليها في مصر .. يكافح من أجلها شعب  
سورية ..

- والمصالح المشتركة بين الشعبين لم ولن تتغير ..

فالوحدة كتطور تاريخي لازم للشعبين في مصر وسورية مازالت قائمة .. والنكسة التي جددت لم تطعن إلا الشكل .. والحكومات الانفصالية التي قامت في سورية والتي ظنت أنه بوجودها قد فصمت الوحدة انهارت أمام هدير الجماهير وزحف الجموع في سورية ..

ولكن الصراع ظل قائما في سورية ..  
انه الصراع الذي كان قائما قبيل الوحدة .. والذي عبر عنه الرئيس في ذلك الوقت بقوله :

« انني أعرف أن الوحدة حينما تقوم .. كل صاحب مصلحة عاين مصلحته بس هي آلي تتحقق .. فيه تناقض في المصالح .. فيه تناقض في الاهداف السياسية .. فيه تناقض في أهداف الرأسماليين .. كل واحد طلب الوحدة لمصلحة تختلف عن الآخر ..  
نعم .. كانت هناك مصالح متعارضة

.. الشعب يريد الوحدة ليحمي تطوره من مؤامرات الاستعمار ..  
والرأسمالية تريد أن تحمي نفسها من هبات الشعب السوري .. وهي أيضا تطمح في فتح سوق مصر لها .. تطمح في الاستفادة من تطور اقتصاد الجمهورية العربية ..

وتمت الوحدة في هذا الجو المشحون من المتناقضات ..  
وأسرع أصحاب الملايين يريدون أن ينهلوا من هذه البئر الجديدة التي فتحت لهم .. بئر الوحدة ..  
وشمر أصحاب الملايين السوريون عن أذرعهم واقترضوا أكثر من ٥٠ مليون ليرة من البنك الصناعي في السنة الأولى لإنشائه ..  
وعارض أصحاب الشركة الحماسية مشروع التصنيع الأول للأقليم السوري ليحتفظوا باحتكارهم للسوق .. واستغلال الشعب السوري ..  
وما حدث من أصحاب الملايين والاحتكاريين في سورية حدث مثله من أصحاب الملايين والاحتكاريين في مصر .. لقد اظنوا أن الوحدة تمت لحسابهم وحدهم وليست لجموع الشعب في سورية وفي مصر ..  
ولهذا عندما صدرت قوانين ١٩٦١ ، أطاحت الضربة بأحلام أصحاب الملايين والاحتكاريين ..

ولكن هناك الحتمية التاريخية  
الحتمية التاريخية .. أي الظروف العالمية التي يكافح من خلالها الشعب في سورية والشعب في مصر هي التي فرضت الوحدة .. هذه الوحدة التي تمت خلال شعار « القومية العربية » ..

فما الحتمية التاريخية ؟

وما القومية العربية ؟

.. لقد ظلت مصر جزءا من الخلافة التركية حتى تم الاحتلال  
البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ..

أما بقية العالم العربي .. سورية ولبنان والجزيرة العربية والعراق  
.. وأجزاء أخرى من العالم العربي ، فقد ظلت تثن تحت الحكم التركي  
طوال صراعنا في مصر ضد الحكم البريطاني ..

وما حدث في مصر .. حدث ما يشابهه في البلاد العربية ..

ففي ظل الاحتلال البريطاني لمصر ، كان مصطفى كامل يقول :

« ان اتفاقنا مع تركيا كان دائما أساسا من أسس سياستنا »

وفي المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس خطب أحد أعضاء  
المؤتمر قائلا :

« .. لا تتطرق أينا فكرة الانفصال عن هذه السلطنة « العثمانية »  
مادامت حقوقنا فيها مرعية محفوظة »

ولكن تركيا رفضت اعطاء العرب حقوقهم وأقامت المشانق في سورية  
ولبنان والعراق .. فهبت الثورة العربية .. هبت الشعوب العربية  
التابعة للدولة العثمانية تحرر نفسها ..

واشترك في الجيش العربي للثورة ثلاثمائة جندي من الجيش المصري  
مع ضباطهم وبطارية من المدافع .. وكان الضباط المصريون متفقيين على  
أنه بعد دفع كابوس الاتراك عن البلاد العربية لابد من اخراج الانجليز  
من مصر وغير مصر ..

وهكذا بدأت نواة النضال المشترك بين الشعب في مصر ..  
والشعوب العربية في سورية ولبنان والجزيرة العربية ..

ولكن حدثت النكسة .. وتقاسمت فرنسا وانجلترا سورية ولبنان  
وفلسطين والعراق .. وانفردت انجلترا بمصر ..

وفي الوقت الذي كان الشعب في مصر يشعل ثورة ١٩١٩ ،  
كانت الشعوب العربية تخوض معركتها في موقعة ميسلون ..

وكما انتكست ثورة ١٩١٩ ، انهزمت الثورة العربية في دمشق  
وأطاح الاستعمار الفرنسي بأول حكومة عربية أعضاءؤها من مختلف  
الشعوب العربية ..

ومنذ سقطت أول حكومة عربية في سورية أعضاءها من مختلف  
الشعوب العربية ، لم تقم حكومة عربية مشتركة الا في عام ١٩٥٨ عندما  
تمت الوحدة بين مصر وسورية ..

ولكن خلال هذه الأعوام من ١٩٢٠ الى عام ١٩٥٨ كانت فكرة  
الوحدة العربية تتبلور .. وتحاول أن تشق طريقها .. محاولات من  
التبادل الثقافي ... ومحاولات لاقامة العلاقات الاقتصادية ، وتأييد في  
الكفاح لكل ثورة يقوم بها شعب عربي ..



وفي عام ١٩٥٨ . . . . .  
وبمعنى أدق في تلك اللحظة التاريخية . . . في تلك اللحظة التي  
: انقسم فيها العالم . . .  
في تلك اللحظة التي تقفز فيها البشرية . . . بعلمها وحضارتها نحو  
الفضاء . . .

في تلك اللحظة التي تعمل فيها كل دولة كبرى على أن تجد مسكنا  
لائقا لكل فرد من أبنائها . . . وأن تيسر العمل لكل أفرادها . . .  
تمت الوحدة بين سورية ومصر  
لقد كان العالم يمر بأهم مراحل تطوره . . .  
فأين كنا نقف نحن ؟

\*\*\*

من قبل . . . خرجت الشعوب العربية من تحت الاحتلال أو الانتداب  
أو الوصاية لتجد نفسها وسط هذه المرحلة . . . تريد أن تحافظ على  
تحررها وتريد أن تلحق بالحضارة الجديدة . . . وتريد أن تتبوأ المكان  
اللائق بالإنسان . . .  
ووجدت أن مقومات القومية العربية تكاد تتكامل بل تفرض نفسها  
وجودها . . .

- اللغة الواحدة التي تربطها .  
- والكفاح المشترك ضد الاستعمار .  
- التفاهم القائم على أسس ثقافية مشتركة .  
- ثم الرغبة في النهوض من مرتبة التخلف .  
كل هذا كفيل بأن يدفع عجلة التطور بين الشعوب العربية في سرعة  
وقوة للحاق بالعالم في مدنيته الخاضرة . . .  
ولكن هل كان يمكن أن تتحد دول تعيش بعقلية القبيلة أو الاقطاع  
مع دول قفزت الى مرحلة التخطيط في الصناعة . . .  
كانت أقرب الشعوب بعضها الى بعض في التطور والنضج والاهداف  
هما الشعب السوري والشعب المصري . . .  
ولهذا قامت الوحدة بين الشعبين بارادة دافعة ورغبة في التطور  
الصادق . . .

وكان يمكن أن تتم اشكال أخرى من الوحدة بين الجمهورية العربية  
وبقية الدول العربية . . .

ولكن الرجعية العربية تريد وحدة حكومات . . . لا وحدة شعوب . . .  
تريد أن تحافظ على الاوضاع القائمة . . . ولا تريد أن تندفع مع التطور . . .  
ولهذا وقفت الحكومات العربية تعمل على تحطيم الوحدة بين سورية  
ومصر . . .

\*\*\*

ولكن الحركة اكبر من أن تنتهي بنكسة .  
فالحركة يخوضها شعب العسراق لاسترداد بتزوله السليب .  
ويخوضها شعب الاردن ضد الملك حسين . .

كل الشعوب العربية اليوم في حركة وغلجان . . فقد تخلفت طويلا  
نتيجة كبت الاستعمار والرجعية . وهي تريد أن تلحق بركب الحضارة  
الصناعية . . تريد أن تبني صناعتها . .

والقومية العربية . . والوحدة العربية هما الكفيلتان بتحقيق هذه  
الاهداف فالشعوب العربية في مختلف أنحاء العالم العربي تكون تعدادا  
ضخما ، كما تملك ثروات متعددة يمكن بتبادلها خلق مجتمع صناعي . .

ولكن هل يقبل سعود أو الامام أحمد أن يستبدل بالعلاقات القبلية  
علاقات اجتماعية تقوم حول الصناعة . .

وهل يقبل سعود أن يحول أموال متبعته الى مصانع . .

ولكن الشعب اليمني والشعب العربي في الجزيرة يكافحان من أجل  
تحقيق هذه الاهداف . .

ولهذا كان أمام الجمهورية العربية احدى اثنتين :

- اما أن تقف في مكانها تنتظر التطور الذي يحدث في هذه البلاد  
حتى تمضي في خطوات واحدة مع الحكومات العربية .

- واما أن نندفع في طريقنا وتمضي الشعوب العربية معنا . .

وكانت هذه هي الحركة . . .

\*\*\*

لقد ظنت الرجعية العربية في سورية أن الوحدة معناها تكوين  
جمهورية عربية اتوقراطية تملك زمام الشعب وتتحكم في مصيره . .

ولكن ما حدث جعلها في ذعر . .

- قضى على الاقطاع

- وحدث التأميم

وكان هذا فوق احتمال الرجعية . .

ولكن هل يمكن انتزاع هذه الحقوق من الشعب السوري . . وإذا  
تم انتزاعها اليوم فهل يمكن محو آثارها . . وهل يمكن أن يئس الشعب  
حقه في استردادها .

لقد حققت الوحدة الكثير . . وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر  
في بيان ٦ من أكتوبر :

« ان هذه التجربة لن تكون الا خبرة وانما كانت التجربة عملية

رائدة استفدنا منها الكثير في تقديرنا .. وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربي وللوحدة العربية التي أشعر ان ايماني بها يزيد قوة وصلابة ،

وكان هذا هو ما حدث بالفعل

فقد انكشفت المؤامرة أمام الشعب .. وأطاح بالانفصاليين المرتشين الذين كشفهم عبد الناصر في أكثر من خطاب .. ولكن طعنات أخرى من الانفصاليين استطاعت أن تفرض سلطانها من جديد .. الى حين ..

\*\*\*

فما هي احتمالات المستقبل ؟

ان احتمالات المستقبل البعيد لاريب فيها، فهي النصر للعرب ، وهي الوحدة للعرب ، وهي التقدم الاجتماعي والازدهار والسعادة للعرب .

لقد قال عبد الناصر في احدى خطبه : فلنواجه المستقبل بشجاعة ، تجاه الأعداء ، وتجاه أنفسنا

وهذا التعبير الموجز البسيط الذي تحدث به عبد الناصر عن المستقبل يرسم لنا خط كفاحنا في المرحلة القادمة من معركتنا ضد الأعداء ، ومعركتنا نحو أنفسنا لكي نرتفع أكثر وأكثر الى أعلى مستوى يتطلبه النضال العربي في مرحلته الشاقة القادمة ..

ان متطلبات هذا النضال المرير ، تقتضى منا أن نتحلى بأعظم مزايا

العرب القومية الماثورة وهي الشجاعة ..

الشجاعة في مواجهة الأعداء ..

والشجاعة في مواجهة أنفسنا ..

ان أعداء القومية العربية ليسوا هم فقط أعداء المتربصين بها خارج بلادها بل هم أيضا الأعداء الذين يتكلمون مثلنا باللسان العربي ، ولعننى بهم الرجعية الانفصالية ، خليفة الاستعمار والصهيونية ١٩٠

وفي مواجهة هذا الحلف الدنس ، حلف الاستعمار والرجعية ، لابد لنا من مواجهة أنفسنا بشجاعة .. يجب أن ننقد أعمالنا نقدا ذاتيا .. يجب أن نعرف ما أخطأنا بالضبط ؟ .. يجب أن نعرف الثغرات التي نفذ اليها منها أعداؤنا المستعمرون والرجعيون ..

ولم يبق الآن ريب في أننا سنواجه المستقبل بشجاعة تجاه الأعداء، وتجاه أنفسنا كما قال عبد الناصر .. لأن مستقبلنا .. مستقبل الأمة العربية كلها يتوقف على شجاعتنا في مواجهة المستقبل !



بطل السلام





لاول مرة فى تاريخ العرب الحديث ، وقف زعيم لهم مع اقطاب العالم ، على مرأى ومسمع من العالم ، يمسك معهم بيديه مصير العالم ، ويقول كلمته فى الحرب والسلام ، فيستمع اليه الاقطاب فى تبجيل ، ويضعون آراءه فى ارفع مواضع الاعتبار .

هذه هى الحقيقة الاولى التى رآها العرب بعيونهم أخيرا ، ورآها العالم كله معهم ، وهى حقيقة رائعة . كان العرب يحلمون بها فقط ، ولم يتصوروا أبدا أنهم سيلمسونها بأيديهم لمسا الا بعد زمن طويل من الكفاح والدم والدموع . .

ولكن جمال عبد الناصر أخرج للعرب هذه الحقيقة من عالم الاحلام الى عالم الواقع ، ووقفت الأمة العربية - ممثلة فى شخصه - مع أقوى الأمم ، جنباً الى جنب ، وعلى قدم المساواة . . فلم تعد الأمة العربية ، وقد تولى زعامتها جمال عبد الناصر ، صوتاً ثانوياً فى العالم ، ولم تعد تابعة متواضعا يجرى فى آثار ساداته الذين يتبعهم ، فاذا رفعوا أيديهم بالموافقة على امر وافق هو أيضا عليه ، واذا قالوا : لا ، سارع وراءهم فقال : لا . .

وهذه الحقيقة الرائعة ليست واقعا أدبيا فقط ، ليس وراءه رصيد مادي مساو له ، وانما هى واقع أدبي ومادى معا . . لأن عالمنا الحاضر ، عالم القوة والذرة والصواريخ ، لا يعترف بالحقائق الادبية - مهما عظمت - الا اذا استندت الى حقائق مادية عظيمة .

وقد سافر جمال عبد الناصر ووراءه جميع الحقائق المادية التى بناها فى تاريخ بلاده وتاريخ المنطقة التى تعيش فيها بلاده ، وتاريخ العالم الذى يضم بلاده وبلاد الآخرين . .

سافر جمال عبد الناصر الى الأمم المتحدة ووراءه الثورة العربية والقومية العربية والجمهورية العربية والمجتمع العربى الثورى الجديد ، وكلها مفاخر شاء التاريخ أن يتوج بها هذا الرجل لأنه صنعها بيديه ، وحماها بيديه ، وكانت يداه دائما فى أيدي الشعب الكبير الذى يقوده ويعمل من أجله ويبنى كل هذه المفاخر . . وهذه الحقائق المادية التى أصبحت من علامات عصرنا . .

فى الماضى سافر بعض رؤساء العرب الى الامم المتحدة ، فلم يكن لهم من الوزن والاعتبار أكثر مما لمثل الدول التابعة مثل الدومينيكا وفورموزا وايران وحكومة سينجمان رى .. وكان أقصى ما يصنعه أولئك الرؤساء العرب أن يستدروا الدموع على حقوق العرب الضائعة .. ثم يعود الرؤساء الى عواصمهم العربية وكأنهم قد أدوا واجبهم وفعلوا كل شئ ..

وشتان الان بين هذه الصورة الدليلة للعرب - ممثلة فى رؤسائهم السابقين - وبين الصورة الجديدة التى ارتسمت أمام العالم فى شخص جمال عبد الناصر ..

ان عبد الناصر لم يستدر دموع العالم على حقوق العرب التى تتناهبها الايدى ، ولم يطلب الرحمة والعطف من المستعمرين ، ولم يلق هناك كلاما للاستهلاك المحلى .. بل وقف جمال عبد الناصر متسربلا الحقيقة الكبرى التى صنعها ..

ان الاستقلال الذى كان سببه «مصر» يستوهبونه من الكبار ، قد انتزعه جمال عبد الناصر فعلا من هؤلاء الكبار ، وعندما حاولوا استرداده هزمهم وألقى بهم الى البحر .

ان الامة العربية التى كانت راقدة فى اليأس والهزيمة قد انتفضت يملؤها الامل ويدفعها النصر ، وأصبحت القومية العربية طليعة الحركات القومية فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ..

ولم تعد الوحدة العربية كلمات تتأرجح فى الهواء .. لقد بدأت نواتها بالفعل فى الجمهورية العربية المتحدة ، التى ترسم للعرب جميعا الطريق الصحيح للتضامن والاتحاد فى وطنهم العربى الكبير من المحيط الى الخليج ..

ولم يعد المجتمع العربى رمزا للتأخر والجمود والتخلف بين المجتمعات الحاضرة .. لم تعد بلادنا جنة الاقطاع والاقطاعيين .. لان جمال عبد الناصر بدأ يبنى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى مجتمع القومية العربية الخاص الذى تتجمع فيه كل أحلامها فى التقدم والازدهار واللاحاق بعصر الفضاء والصواريخ ..

وبلادنا لم تعد بستانا لا حارس له ، يتناهب اللصوص خيراته ، لان جمال عبد الناصر بنى لنا جيشا وطنيا قويا ، هو الآن أقوى جيش فى المنطقة التى نعيش فيها ، وفى استطاعته أن يرد كيد المعتدين ويكيل لهم الضربة عشر ضربات .

وبلادنا لم تعد شريطا أخضر فقط ، لا نملك سواء ، ولا نجد الرزق الا بين ترابه السخى الوفى الغنى .. لان جمال عبد الناصر قرر أن يضيف الى هذا الشريط الأخضر أشربة أخرى خضراء .. قرر أن يبنى السد العالى ويضاعف الرقعة الزراعية ، وينشئ المصانع الحديثة ، ويحول بلادنا الى ترسانة كبيرة مصنع فيها كل شئ ، ولا نحتاج لشيء كثير يأتينا من الخارج ..

كل هذه الحقائق اندمجت في الحقيقة الكبرى التي سافر بها جمال عبد الناصر الى الأمم المتحدة ووقف بها أمام أنظار العالم .. حقيقة الأمة العربية الجديدة التي قفزت الى الصفوف العالمية الاولى ، وتبوات مقعدها مع «الاقطاب» ، وتكلم زعيمها فاستمع اليه العالم كما استمع الى أكبر أقطاب الدنيا : ايزنهاور وخورشوف وماكميلان ونهرو .

وهذه الحقيقة المجيدة التي رفعت كرامة الشعب العربي في وطنه الأكبر كله ، هي التي رشحت جمال عبد الناصر ، صانع هذه الحقيقة المجيدة ، ليقوم بالدور التاريخي العظيم الذي قام به في الأمم المتحدة .. وكان مستحيلا أن يقوم بهذا الدور - قبل اليوم - زعيم عربي من الطراز القديم الذي قضت عليه ثورة جمال عبد الناصر ..

ماذا صنع عبد الناصر في رحلته هذه التاريخية الى الأمم المتحدة ؟

ان أول شيء فعله انما هو اعطاء العالم فكرة جديدة عن الأمة العربية، بعد أن أعطى الزعماء القدامى كل العالم فكرة عن الأمة العربية ظلت راسخة فترة طويلة ، كاسوأ دعاية ضد بلادنا وأمتنا في الخارج ..

لقد كان ظهور عبد الناصر في نيويورك ، معقل الصهيونية العالمية، ايدانا للعالم كله بأن العرب لم يعودوا تحت رحمة الصهيونية .. لقد أصبح العرب أقوىاء يقودهم «ناصر» الذي يعتبر اسمه علامة عصر جديد للعرب في جميع بلدانهم ..

لم تكن نيويورك تتوقع زيارة مفاجئة كهذه يقوم بها الرئيس جمال عبد الناصر الذي يعيش في نيويورك اعلى أعدائه ، ولهذا كان ظهور عبد الناصر في نيويورك دليلا على انه أقوى من جميع العتاة الذين يناصبونه وامته اقصى ألوان العدا ..

ومنذ اللحظة الاولى لوصوله الى نيويورك ، أصبح واضحا انه أحد الاقطاب القلائل في العالم الذين يمسون زمام الحرب والسلام ، ولم يجد الصهيونيون حيلة لاختفاء هذه الحقيقة فاستسلموا لها ، واستطاع عبد الناصر أن يعزلهم عن مراكز النشاط الرئيسية ، ويثبت للعالم ان العرب هم أصحاب المنطقة التي يعيشون فيها ، وأن الصهيونيين القلائل هم عصابة من الدخلاء والمغتصبين ..

وعندما هرع ماكميلان الى حيث يجلس جمال عبد الناصر في اجتماع الأمم المتحدة ، ومد ماكميلان يده اليه ، شاهدت جميع الشعوب انتصار عبد الناصر في جرب السويس عام ١٩٥٦ يلخصه هذا الموقف التاريخي بينه وبين رئيس الدولة المنهزمة في حرب السويس ..

ان عبد الناصر لم يذهب الى ماكميلان ولم يلتفت اليه ، لان ذلك ما كان يفعله زعماء العهود البائدة عندنا ، وكان لا بد اذن من أن يخطو رئيس وزراء بريطانيا العظمى الخطوة الاولى ، ويذهب الى جمال عبد الناصر ..

وعندما التقى عبد الناصر بايزنهاور وخورشوف وغيرهما من قادة



الدول كان عبد الناصر يقف في مركز القوة المعنوية ، كما يقف في مركز القوة المادية التي أتاحها له مركزه الضخم كرائد وقائد وزعيم لانشط وأقوى قومية في آسيا وإفريقيا ..

وعندما تكلم عبد الناصر في الامم المتحدة ، هرع لسماعه كل مندوبي الدول ، وجلس يصغى اليه جميع الزعماء والرؤساء ، ولم يتخلف عن سماعه حتى وفد اسرائيل بقيادة جولدا مائير .. لان كلمات عبد الناصر موضع اهتمام العالم بأسره ، لا فرق في ذلك بين أعداء عبد الناصر وأصدقائه ..

ودى اقتراح عبد الناصر في الامم المتحدة باجتماع ايزنهاور وخروشوف دوى القنبلة ، وتحول على الفور الى اقتراح تاريخى تقدم به جميع زعماء الحياد ..

\*\*\*

وهكذا كان ظهور عبد الناصر في نيويورك علامة انعطاف هام في تاريخ العرب .. لقد انعطفوا من الدرب الضيق الذى كانوا يسرون فيه الى طريق فسيح أصبحوا فيه قوة هائلة في ميزان العالم .. ولم يعودوا وحدهم في هذا الطريق ، فقد سار معهم فيه ثلثا سكان العالم في الفارتين الكبيرتين آسيا وإفريقية .. وحتى أمريكا اللاتينية أصبحت تجد في كفاح العرب بقيادة جمال عبد الناصر وحيا يلهمها في كفاحها الشاق ، كما قال كاسترو لجمال عبد الناصر : « ان شعب كوبا من أشد المعجبين بالشعب العربى ، وانه يشعر بأن مجيء الرئيس العربى لزيارته فى حى هارلم يعد شرفا عظيما لكوبا وشعبها ، وخاصة ان شعب كوبا يكن شعوورا بالاعجاب بالثورة العربية وبالعطف عليها .. وها نحن نرى امامنا الزعيم عبد الناصر الذى سجل فى التاريخ تضحيات الشعب العربى يشجعنا على الاستمرار فى مكافحة المستعمرين والاستعمار كما فعل الشعب العربى » ..

وهكذا أصبح عبد الناصر فى نظر العالم مرادفا للعرب .. ان اسم «ناصر» هو بالضبط اسم الأمة العربية فى كل مكان ، وقد ارتفعت مكانة الأمة العربية. عندما أصبح اسم ناصر مقرونا بالجهود العظيمة التى بذلها ويبدلها دائما فى سبيل السلام والمحافظة على الاستقلال والحياد .

وكانت مهمة عبد الناصر فى نيويورك هى بالفعل المهمة التى تمتتها كل الشعوب . ففي نيويورك جاء عبد الناصر ليقابل الشعوب كلها ممثلة فى الامم المتحدة ، ولم يتلق الدعوة من أحد ، لأن عبد الناصر تعود دائما أن يلتقى بالشعوب دون وساطة .. ويتحدث إليها دون أن يحول بينه وبينها حائل ، فالمصالح التى يدافع عنها عبد الناصر وتدافع عنها الشعوب مصالح واحدة ، لا تتناقض ولا تتعارض وتتجه كلها فى آخر المطاف الى هدف واحد ، هو حماية السلام العالمى ، وازدهار الرفاهية للانسانية كلها ، وحماية الشعوب الصغيرة من أن تقع فرائس للدول الكبرى المدججة بأسلحة الدمار الشامل .

وهكذا التقى عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة ممثلاً للشعب العربي وللقومية العربية ، وهو بهذه الصفة وقف أمام العالم كله ممثلاً لقوة صاعدة جبارة تشارك بقوة وجسارة في صنع التاريخ الحديث لمنطقة الشرق الاوسط كله ، بل وللعالم بأسره وكان لقاء عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة ممثلاً للضمير الانساني الذي تتضمنه دعوة الحياض الايجابية التي كان عبد الناصر دائماً في مقدمة الحاملين لرسالتها والمدافعين عنها ، والمؤمنين بأثرها العظيم في حراسة السلام العالمي ، وحماية الجنس البشري ، وصيانة استقلال الشعوب الصغيرة وفتح أبواب جديدة تدخل منها شعوب أخرى تنتزع استقلالها من الاستعمار ..

وعندما التقى عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة كان ممثلاً للمجتمع الجديد في بلاده التي تبذل كل جهدها للحاق بموكب العصر الحديث في ميادين الصناعة والزراعة والعلم وغيرها من ميادين الحياة وبهذه الصفة وقف عبد الناصر أمام العالم كله ممثلاً لقوة التطور في الشعب العربي .. وهي قوة هائلة ذات آثار شديدة الفعالية ، استطاعت خلال سنوات قلائل أن تقتلع كثيراً من جذور الرجعية وتغرس كثيراً من جذور التقدم ، وتفتح للأمة العربية باب العصر الذري وعصر الفضاء .. وتقف بالانسان العربي على رأس الطريق الذي سار فيه انسان النصف الثاني من القرن العشرين . والتقى عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة كقائد وطني لبلاده ، قادها في معارك عسكرية ضد أعداء كثيرين ، والحق بهم هزائم تاريخية لم تحرر بلاده فحسب ، بل فتحت طريق الحرية لشعوب كثيرة تتطلع اليها في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ..

وهكذا .. التقى عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة وفوق جبينه عدة أكاليل .. لا اكليل واحد ، وتحدث اليها أحاديث قريبة الى قلوبها وضمائرها ومصالحها .. ووقف في كل قضية موقفاً تبرضاه كل الشعوب لا شعبه فقط ، وبهذا عبر عبد الناصر عن روح سياسته العظيمة التي ربطت مصلحة الشعب العربي بمصالح الشعوب الحرة جمعاء وجعلت الشعب العربي حليفاً لجميع الشعوب الحرة المكافحة .. لا يعادي الا من يعاديه ، ولا يتكص على عقبيه في معركته المجيدة ضد الاستعمار والصهيونية ..

\*\*\*

ان عبد الناصر وضع قدميه لأول مرة على الأرض الامريكية ، وقد سبقه وجاء بعده رؤساء حكومات ودول من جميع القارات .. ولم يكن أحد يتصور ان هذا الحشد العظيم من قادة العالم يمكن أن يجتمعوا جميعاً بدعوة من الحكومة الامريكية ، ولم يخطر على بال حكومة أمريكا أن رؤساء العالم سيجتمعون فوق أرضها هذا الاجتماع التاريخي ، الذي فتح الباب لاجتماعات أخرى تاريخية وأسعة حاسمة ..

ان مصير الجنس البشري ، هو الذي أرسل رقايع الدعوة الى هؤلاء القادة فكان لا بد لهم من تلبية الدعوة والسفر الى الأرض التي كان من الاحتمالات البعيدة أن يسافر اليها الكثيرون منهم .

وقد سافر عبد الناصر الى نيويورك مدعوا من السلام ومن الشعوب، وحل هناك ضيفا على السلام وعلى الشعوب ، وليس له من هدف هناك الا اقرار السلام في سبيل الشعوب .. ولم يحدث قط في تاريخ الدبلوماسية ان سافر رئيس دولة في مهمة كهذه الى ارض بعيدة كأرض أمريكا تعج بمن يناصبونه العداء ، بل وبمن يعتبرونه عدوهم الاول .

ونزل عبد الناصر في قلب نيويورك .. في عاصمة الصهيونية الكبرى .. في بلد يعيش فيه خمسة ملايين صهيوني يملكون ثروته ، ويؤثرون في سياسته ، ويحتلون فيه مراكز القوة والتوجيه ..

ولكن عبد الناصر لم يأبه لشيء من ذلك .. لم يفكر في قوة الصهيونية الهائلة في نيويورك .. لم يخش مؤامراتها وحماقاتها ودسائسها ، لأنه أقوى منها كثيرا .. ولهذا ذهب اليها في عرينها .

وقد كان سفر عبد الناصر الى نيويورك علامة خير كبير للانسانية في اللحظات الحرجة التي كان يمر بها السلام العالمي وتمر بها الشعوب الصغيرة وخاصة الشعوب المستقلة حديثا في افريقيا ، كما تمر بها الامم المتحدة بالذات بعد التجربة القاسية التي شهدتها في الكونغو ..

وكما قالت جريدة الايكونومست البريطانية فان قرار سفر الرئيس عبد الناصر الى الامم المتحدة « قد طفى على كل القضايا السياسية الاخرى »

ولم تنكر الصحافة العالمية في أمريكا ودول الغرب الاهمية التاريخية لسفر الرئيس الى الامم المتحدة ، ومن البديهي انه قد ارتفعت الى جوار الحقائق كثير من الاكاذيب التي حاولت الصحافة الصهيونية والاستعمارية أن تثير غبارها في طريق رحلة الرئيس ..

وقد اعتدنا نحن العرب منذ وقت غير قصير أن نتجاهل الغبار الذي تثيره شياطين الاستعمار والصهيونية في طريقنا لأن الحقائق التي نتسلح بها في مواقفنا تتكفل دائما باضاعة طريقنا وكشف خصومنا واعلاء كلمتنا والحقاق الهزيمة بهم ..

لقد حمل الرئيس الى الامم المتحدة رسالة العرب التقليدية : رسالة السلام والحرية والاخاء ، وبرهن برحلته التاريخية هذه على أن القومية العربية تعيش الآن في مستوى الاحداث التاريخية الجسام التي يمر بها العالم ..

وبين باندونج التي سافر اليها الرئيس منذ سنوات .. ونيويورك التي نزل فوق أرضها عاش العالم خمس سنوات عصيبة زحف خلالها الى حافة الهاوية عدة مرات ، وتقهر عنها عدة مرات حتى باتت أعصابه مشدودة الى أقصاها ، متوترة الى حشد الجنون ، مشتتة لا ينقصها الا الانفجار النهائي الرهيب ..

لقد اصطدمت كتلة الشرق بكتلة الغرب ، وامتدت يد كل منهما الى خنجرها الذرى لتغمده في صدر الاخرى وأصبح العالم مهددا بمعركة فناء لا يفنى فيها الغرب وحده ، ولا الشرق وحده ، بل يفنى فيها البشر جميعا



وتنهار الحضارة من أساسها ، فكان لا بد أن يسارع المحايدون لاطفاء النار ، ومنع امتداد لهيبها ، والحيلولة دون الكارثة .

وفي هذه الظروف الحاسمة قطع عبد الناصر المسافة بين القاهرة ونيويورك مدعوا من الشعوب ليقول كلمة شعبه وكلمة الشعوب في القضايا الكبرى المعروضة على الأمم المتحدة في دورتها الخطيرة .

وفي نيويورك اجتمع ممثلو دول الاستعمار ، والدول المنكوبة بالاستعمار والدول التي تحررت حديثا من الاستعمار ودول الكتلة الشرقية ، ودول الحياد . وقد كانت فكرة اجتماع أقطاب الحياض في مؤتمر لهم فكرة ايجابية بحثها أقطاب الحياض في اجتماعاتهم الكثيرة ، وكان هدفهم من هذا المؤتمر العظيم المقترح أن يبحثوا الشؤون الدولية التي بلغت قمة الخطر ، وكان واضحا دائما ان هذا المؤتمر الحيادي ستكون له فائدة مضاعفة اذا تم عقده داخل الأمم المتحدة ، وتبذلت رسائل كثيرة بين زعماء الحياض في آسيا وأفريقيا وأوروبا دارت كلها حول المشكلات العالمية وضرورة إيجاد حل لها داخل الأمم المتحدة ضمانا لاحاطتها بتأييد ممثلي أكبر عدد من دول العالم . .

وقد تجلت هذه الفكرة الحياضية في البيانات الرسمية التي صدرت خلال اجتماعات الرئيس جمال عبد الناصر بزعماء الحياض الايجابية ، كالرئيس نهرو والرئيس تيتو والرئيس سوكارنو .

وقد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها الخامسة عشرة بعد أن وافقت على انضمام قبرص وثلاث عشرة دولة افريقية جديدة وبذلك تضاعف عدد الدول غير المنحازة للأمم المتحدة وقويت جبهة الحياض وازداد نفوذ الجبهة الآسيوية الافريقية وتقلص النفوذ التقليدي الذي كانت بعض الدول الكبرى تسيطر به على الأمم المتحدة وقراراتها ، وحدث بذلك انعطاف تاريخي هام في حياة هذه المنظمة الدولية التي علق عليها الشعوب وما زالت تعلق آمالها في السلام والاخاء الانساني والغاء العبودية الاستعمارية ومحو التفرقة العنصرية وانهاء الصراع بين الشرق والغرب ونزع أسلحة الدمار الشامل والسير في طريق التعايش السلمي بين الدول جميعا . .

وفي هذا «الطقس» الدولي المواتي اجتمع أقطاب الحياض في نيويورك، والتقى عبد الناصر برفاقه في الكفاح الحياضي ، وبدأ هؤلاء الأبناء البررة للانسانية نضالهم المشرف داخل الأمم المتحدة لينتزعوا النصر لرسالتهم رسالة الحياض ، التي سميت بحق «ضمير الانسانية» .

\*\*\*

وكانت الأمم المتحدة في دورتها تلك تنظر آخطر القضايا ، وتحاول أن تتخذ فيها أخطر القرارات ، وعلى رأس هذه القضايا الخطيرة قضية الجزائر وقضية الكونغو وقضية فلسطين ، وقضايا افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية وخاصة قضية كوبا وقضية ايرلان الغربية التي اقتطعتها هولندا من أندونيسيا وفرضت عليها نظام الاستعمار .



وكانت القضية الأساسية الخطيرة... قضية نزع السلاح التي كان يجب أن تجد لها الشعوب حلاً خاصاً داخل الأمم المتحدة ، حتى لا يجرى سباق التسلح بين الدول الكبرى إلى غايته ، ثم يصطدم حاملوا السلاح اصطداماً مروعاً لا ينجو أحد من عواقبه المخيفة .

وقبل ذلك اقتضت هذه القضية الخطيرة في مباحثاتها على الدول الكبرى في مؤتمرات مقفلة واجتماعات سرية ورسائل بين رؤساء الدول الكبرى تدور في حلقة مفرغة ولا تهدف إلا إلى تبادل الاتهامات ، وكان المفروض أنه إذا عرضت بعض الدول الكبرى في هذه الدورة على الجمعية العامة مقترحات لنزع السلاح ذات صفة إيجابية فإن الأمم المتحدة بتشكيلها الجديد ، لن تخذل هذه المقترحات ، بل تقف إلى جانبها وتعطيها على الأقل قوة إيجابية رغم خصومها على عدم تجاهلها وعلى محاولة الالتقاء بها والتفاهم معها .

ولو نجحت الأمم المتحدة في اتخاذ خطوات ناجحة بشأن قضية نزع السلاح لكان هذا أول نصر ضخم تحرزه ضد عوامل الحرب وسباق التسلح والجفاء بين الدول الكبرى .

وكانت هناك أيضاً قضية هامة تنظرها الأمم المتحدة في الدورة هي قضية عضوية الصين الشعبية في الأمم المتحدة ، فما زال كرسي الصين ذات الستمئة مليون نسمة يحتله ممثل المارشال شان كاي شك حاكم فرموزا . . . وهذا الوضع يعرض السلام في آسيا لخطر شديد كما قال شري نهر ، ولا بد والأمر كذلك من نظرة جديّة فعالة تلقيها الأمم المتحدة على هذه القضية التي طال عليها الأمد وباتت خطراً ينبغي ألا يستهان به .

أما قضايا فلسطين والجزائر والبلدان الواقعة تحت نير الاستعمار في إفريقيا وآسيا فإن الدورة الخامسة عشرة كانت تعنى بالنسبة لها نقطة انطلاق قوية بعد أن تعثرت هذه القضايا طويلاً في أروقة الأمم المتحدة بفعل دسائس المستعمرين .

وحول هذه القضايا كلها كان لا بد أن يصطدم الشرق بالغرب كالعادة ويتبادل أقطابهما الاتهامات ، ويجذب كل منهما الآخر إلى حافة الهاوية ، ولا يبقى عندئذ مناص من أن يقوم الحاديون بدورهم الشريف في سبيل السلام العالمي وفي سبيل تحرير الشعوب المستعبدة وفتح طريق الرخاء والتنمية أمام الشعوب المستقلة حديثاً .

ولم يكن من المعقول أن يكون هذا الدور الذي يقوم به الحاديون في الأمم المتحدة دوراً سلبياً ، أو تقتصر مهمتهم على إبعاد النار عن الفتيل ، فلهم طاقة هائلة تجمع حولهم تأييد الشعوب في الأمم المتحدة وتمكنهم من أن يلزموا الطرفين المتنازعين بالجنوح إلى الطريق الذي يحقق مصلحة الشعوب .

وهكذا بدا واضحاً أن دور الرئيس عبد الناصر في الأمم المتحدة سيكون دوراً بالغ الأهمية . . . لا بالنسبة للشعوب العربية وحدها ولا بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط فقط ، بل للعالم كله بغير استثناء .

وهذه الأهمية البالغة لدور الرئيس في الأمم المتحدة هي التي أوحى إليه فرار السفر إلى نيويورك ، وقد كان من المستبعد تماما أن يظل الرئيس في عاصمته بلاده على حين يجتمع في نيويورك أطباء الحياد وأطباء العالم في أكبر مؤتمر في التاريخ الحديث ، لأن الرئيس عبد الناصر يدرك جيدا مسئولياته كرجل حياد ورجل سلام ورجل أحداث تاريخية كبرى بأن لها أعظم الأثر في تطورات العالم خلال السنوات الحاسمة الماضية ..

وكان هذا هو ما حدث بالفعل ...

فأمام العالم كله في الأمم المتحدة ، وقف جمال عبد الناصر ، على منبر الجمعية العامة يرسم طريق السلام في دورة السلام ..

والحق أن جمال عبد الناصر حين أعلنها من فوق المنبر مدوية بأن أعز أمانيه أن تمضي هذه الدورة في التاريخ باعتبارها دوره السلام .. لم يكن يتمنى ذلك فحسب .. بل لقد كان يحطو بالعالم كله خطوات كبيرة واسعة في سبيل إقرار السلام وتهينة الجو المناسب له ووضع الأسس الرئيسية للوصول إلى الهدف الذي نتمناه كل الشعوب ..

ومن أجل تحقيق السلام .. لابد من عرض كل المشكلات على حقيقتها دون تحيز أو تعصب .. ولابد من استعراض كل الأسباب التي أدت من قبل ولا تزال تهدد بقيام الحرب ..

وهذا هو بالضبط ما صنعه عبد الناصر ..

فبعد الناصر يعلم جيدا أن معركة السلام هي معركة الحرية .. تماما كما يعلم أنه لكي ينتصر السلام وتنفذ إنشورية حياتها كلها لابد أن تنتصر البشرية في معارك الحرية .. ومن أجل أن تنتصر الحرية لابد من الوقوف في وجه السيطرة وفي وجه مناطق النفوذ .. وفي وجه مؤامرات الاستعمار .. وهي كلها ليست سوى وجوه لمعركة الحرية في العالم .. وفي سبيل الانتصار في معركة الحرية لابد أن تعمل الأمم المتحدة .. ولابد من وضع حد لمعركة التسلح التي لا تعرف سوى الشر .. والباطل .. والوحشية .. وكل هذه صور وأدوات للحرب .. التي لو قامت لفضت على كل آمال الإنسان .. ولانتهكت تطلعاته لتحقيق ظروف أحسن تنهيا فيها كل أسباب النمو والتقدم لمصلحة جيل الحاضر وأجيال المستقبل ..

من أجل ذلك .. شرح عبد الناصر كل مشكلات العالم .. وانتهى منها إلى مواجهة الرجلين اللذين يقفان وجها لوجه وبين أيديهما كل أسلحة المعركة .. المعركة التي تهدد أمن البشرية ..

ولئن كان مصير العالم اليوم ومستقبله تملك زمامه قوة الرأي العام العالمي ، والقوى المعنوية ذات الإمكانيات والطاقات الأخلاقية إلا محدودة ، إلا أن هذه القوى السلامية مازالت تتعرض لتهديدات يمكن أن تعرقل سيرها - ولو مؤقتا - من أجل تحقيق هدفها النهائي الرامي إلى تحقيق السلام للبشرية كلها .. هذه التهديدات تنبثق من الصراع المستعر المتميز بالعنف والدائر بين الشرق والغرب .. وكلا المعسكرين يملك من أدوات

الحرب والدمار ما يمكن أن يغرق العالم في بحر من الدماء والآلام ..  
ومن هنا برزت ضرورة تحويل الصراع العنيف بين المعسكرين الكبيرين الى  
منافسة سلمية شريفة تتاح فيها الفرص المتكافئة للجميع لكي يمارسوا  
الابداع وينشدوا التفوق داخل نطاق السعى لخدمة قضية الانسان  
الاساسية وهي تحقيق السلام الدائم المطلق الأبدى ..

والواقع أن أهم مشكلة قائمة بين المعسكرين الكبيرين ، وتنعكس  
جوانبها ومظاهر الصراع فيها على العالم كله هي مشكلة نزع السلاح ..  
ولا يمكن أن يزول قلق الناس وتنمحي مخاوفهم وشكوكهم من المستقبل  
الا اذا أمكن ايجاد حل واقعي ومعقول لهذه المشكلة المزمنة التي تتفاقم  
وتتعمد يوما بعد يوم .

لا شك أن كل ذلك هو الحقيقة .

فقد بات العالم كله يعيش تحت رحمة الصواريخ السوفيتية ،  
والطائرات الذرية الأمريكية ، ولم يعد هناك الا الحرب بديلا من السلام ..  
وفي الحرب الذرية - لو وقعت - يفنى الرأسماليون وطائراتهم وروس  
أموالهم ، ولا يستطيعون أن يربحوا دولارا واحدا كما كانوا يربحون في  
الحروب الماضية .. حروب الجندي والبندي والسونكي .

وفي الحرب الذرية أيضا يتهدم البناء الكبير الذي بناه السوفيت  
في ثلاثة وأربعين عاما وبذلوا من أجل بنائه العرق والدمع والسدم  
والتضحيات الجسام ..

وفي الحرب الذرية .. فوق هذا وذاك .. يتعرض الدين ليسبت  
لهم علاقة - مباشرة أو غير مباشرة - بالصراع القائم بين الكتلتين للمصير  
المظلم .. الذي لن تستطيع فيه الصواريخ أو الروس الذرية أن  
تميز بين الظالم والمظلوم .

من أجل ذلك .. لم يبق الا أن يصيخ العالم سمعه الى نداء العملاق  
العربي الذي أبحر من شاطئ البحر الأبيض الى شاطئ نيويورك .  
ليخوض معركة السلام .. وهي معركة الناس كلهم ..

وليطلب من الرجلين اللذين يجلسان على رأس دولتين تملكان من  
الامكانيات العسكرية الهائلة ما يمكن أن يؤثر على مصير العالم ، أن يلتقيا  
تحت علم الأمم المتحدة ، وأن يبحثا - داخل نطاق هذه المنظمة الدولية -  
مشكلات بلديهما .

قضية نزع السلاح ليتفقا على الخطوط الرئيسية التي تقرب وجهات  
نظرهما ، ومن هنا يمكن الوصول الى اتفاق تسير الدول كلها بعده في  
طريق السلام .

والعالم كله كان يعرف ان لكل من الرجلين شخصيته .. ومنطقه .  
وطريقته في الايمان بالسلام .

وأول الرجلين هو خروشوف .. الذي وقف يتحدث عن السلام  
ونزع السلاح واستقلال الشعوب ، ثم يشير الى دول الغسرب الكبرى  
ولسان حاله يقول : « صواريخنا في القمصر ، وصواريخهم غارقة في  
البحر » .



والحق ان هذه الكلمة اللاذعة التي أرسلها خروشفوف ، تلخص بدقة تامة حقيقة الموقف بين الشرق والغرب . . فالسلاح النهائي ، أو الصاروخ الكوني كان رابضاً في قواعد الاطلاق السوفيتية لا في القواعد الامريكية ولا البريطانية . .

وهذا الموقف بالذات ، لم يشمل خروشفوف كالخمر ولم يفقده اتزانه ، بل فتح له أبواب المحيط الاطلسي ، وقاد سفينته حتى ألقت مراسيها في ميناء نيويورك .

ذهب خروشفوف الى هناك وهو يؤمن بانها فرصة لبحث التعايش السلمي ولتحويل المعركة الى منافسة سلمية في المجال الاقتصادي ، يخرج منها النظام الاقوى وفي يده النصر الحاسم على النظام الآخر . . ومن الطبيعي ان السوفيت ، عاشوا مؤمنين بأن نظامهم سيفوز في أية منافسة سلمية مع النظام الرأسمالي . . وهو عكس ما يؤمن به المعسكر الغربي . . الذي لا يشك أبداً في انتصار نظامه على النظام الشيوعي . وكان هذا هو بالضبط ما يؤمن به أيزنهاور الرئيس الامريكي في ذلك الوقت . . فأيزنهاور وخروشفوف اذن لم يسعيا الى لقاء بين النظامين على الصعيد الايديولوجي لان معنى هذا اللقاء نزول كل من النظامين عن عدد من مبادئه الأساسية ، وهو أمر مستحيل تماماً ، ولا يمكن أن يفكر فيه الا الخياليون . . وخروشفوف وأيزنهاور واقعيان وليسا خياليين .

ولكن الذي يسعى اليه الناس كلهم سواء في المعسكر الشرقي أو الغربي هو أن تصير الحرب بين المعسكرين في الظروف الراهنة أمراً مستحيلاً أو بعيد الاحتمال على الأقل . .

فكل الناس يريدون السلام . .

كلهم يريدون التعايش السلمي . . لانهم باتوا يؤمنون ان التعايش السلمي ضرورة حيوية للاتحاد السوفيتي فحسب ، ولا للدول المستقلة حديثاً وحدها ، بل للدول الرأسمالية أيضاً . . ومن الممكن أن يلقي الناس جميعاً بأسلحتهم في جوف المحيط ، ويبدهوا تنافساً سلمياً لإنتاج اللحم والبيض والزبد وبناء المدن الجديدة ومحاربة الأمراض القاتلة واعلاء كرامة الانسان . .

\*\*\*

من الذي يعارض اذن سيطرة السلام ؟

بصراحة انه الاستعمار . . فالاستعماريون يعارضونه ولا يريدونه ويرفضون ان يركبوا في سفينته مهما أحاطت بهم أمواج الطوفان . .

ولكن الاستعماريين الذين يرفضون السلام - وان راخوا يتنادون في الظاهر به - لم تعد لديهم القدرة على شن حرب يفوزون فيها . . ان الحرب لم تعد نزهة الاستعمار ، ولم تعد القنبلة دجاجة تبيض الذهب لاحتكارات نيويورك ولندن وباريس . . لأن الشعوب أصبحت من القوة بحيث تلحق بالاستعماريين في أية حرب عالية هزيمة مميتة تقضي على



نظامهم الى الأبد ، ولا يريد الاستعماريون بطبيعة الحال أن يموتوا ولا يريدون لنظامهم أن ينتهي هكذا بغير أمل فى العودة .

ولهذا السبب بالذات ينبغى على الاستعماريين أن يجدوا طريقا جديدا للحياة ، يبعد عنهم الموت وينقذ لهم ما يمكن انقاذه من نفوذ وسلطان وثراء ..

وحول هذه النقطة تلتقى جميع المناورات والمؤامرات والمفاوضات والمساومات والنضال والكفاح فى عالمنا الحاضر ، عالم القلق الذرى والهوس الاستعمارى .. والامل العريض فى السلام ..

وهكذا كان لا بد للعالم كله أن يدرك ان أفضل طريقة لصيانة السلام ومنع الحرب - حتى لا يموت الاستعماريون وأعداؤهم معا - هى نزع السلاح نزعا شاملا ، مع الاشراف عليه بطريقة فعالة لا غش فيها ولا خداع ..

وقد أعلن خروشفوف فى الأمم المتحدة انه موافق على نزع السلاح ، كما أعلن أيزنهاور موافقته أيضا ، ولم يبق - كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى الأمم المتحدة - الا أن يجتمع خروشفوف وأيزنهاور لينزما سلاحهما بالفعل .

والحقيقة انه اذا تحسنت العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، فإن العلاقات ستتحسن بين بقية دول العالم لأن حالة العلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ذات تأثير ضخم فى حالة العلاقات بين بقية دول العالم ..

وهذا هو الذى جعل الدول المحايدة تسعى الى تحسين العلاقات بين واشنطن وموسكو ، وتحمل صيحات رؤسائها على منبر الأمم المتحدة فى تلك الدورة ، هذه الرغبة الجياشة فى التقريب بين أقوى دولتين فى العالم ..

\*\*\*

وقد كانت كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الأمم المتحدة تحمل هذه الرغبة العامة التى تبديها شعوب البلدان المحايدة كما تبديها شعوب البلدان المنحازة نفسها .

فالشعوب كلها تعلم ان المعركة فى الاصل معركة بين أمريكا وروسيا .. بين خروشفوف وأيزنهاور .. وقد ذهب خروشفوف الى نيويورك بالفعل ..

ولا يمكن أن يكون قد ذهب الى نيويورك ليضحك الأمريكان كالمهرج السكران .. بل يجب أن يصغى أيزنهاور جيدا اليه ، لأن العالم كله يصغى اليه ويقدر كلماته ما دام لديه الاستعداد للسلام ..

وهذه هى فى الواقع مهمة زعماء الحياد والسلام .. مهمة جمال عبد الناصر ونهرو وسوكارنو وتيتو .

وجمال عبد الناصر عندما ذهب بنفسه الى الامم المتحدة ، وعندما يبادر بدعوة خروشوف وأيزنهاور الى اللقاء ، لم يفعل ذلك بدافع تحقيق مكسب شخصي أو بدافع تقليد المغرمين بالدعاية ، وإنما فعل ذلك لأنه يؤمن في أعماقه بقضية السلام ، ويؤمن - كما يؤمن الشعب العربي وكل الشعوب بأنه لن يمكن تحقيق التقدم وتنفيذ برامج التصنيع والرخاء كاملة الا اذا تحققت امكانيات العيش في هدوء وسلام . عندئذ يمكن للحكومات وللشعوب معا أن تنصرف الى معركة البناء . وليس أحرص على خوض هذه المعركة الهامة من شعوب نكبت بالاستعمار أجيالا طويلة ولحقها التخلف وفاتها - كما قال عبد الناصر - عصرا البخار والكهربا ويوشك أن يفوتها عصر الذرة .

ومن خلال مبادئ الحياد وعدم الانحياز برز اخلاص عبد الناصر ، وصدق دعوته لتهيئة فرص طيبة لكي يزدهر السلام وتنمو براعمه . .

وعندما عاد بطل السلام ، بطل الامة العربية ، وملهم الشعوب الافريقية والاسيوية . . عاد من رحلته في سبيل السلام ، مقرونا اسمه بالسلام ، متوجا بالكرامة والايمان والثقة ، مسجلا لأول مرة في تاريخ العرب الحديث يقظتهم الكبرى أمام العالم .

ان ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك ليس خافيا على أحد في بلادنا أو في خارج بلادنا ، لأنه فعل كل شيء أمام أنظار العالم كله ، وهي تتابعه بحماسة وانبهار . . ولا يوجد في العالم الا عمى البصائر فقط ، من لم يروا ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك من أجل أمته ومن أجل العالم . .

ان أضواء عدسات التصوير التي سلطت في نيويورك على عبد الناصر ، كانت خافتة جدا اذا قيسَت بأضواء التاريخ التي غمرته كأنها نور الشمس . .

والحق يقال ان هؤلاء الزعماء البررة بشعوبهم وبالعالم كله ، عملوا طويلا لكي يجعلوا الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة دورة تاريخية للسلام العالمي . .

وعندما يشيد التاريخ بالنجاح الذي حققته هذه الدورة ، فسيكون لعبد الناصر - كأبرز هؤلاء الزعماء - سطور طيبة يستحقها بلا ريب ، لأنه حرص أن يكون كما قال الدكتور براساد رئيس جمهورية الهند « مكافحا شجاعا في سبيل السلام » . .

وكما تلتقط عدسة التصوير ملامح الوجه ، التقطت عدسة التاريخ « ملامح أعمال هذا البطل العظيم . . أعمال جمال عبد الناصر . .





# الصراع مع الجمعية







ان جمال عبد الناصر ، هو الهتاف الغريزي الذي تتسابق اليه  
السنتنا في كل مناسبة قومية وطنية ، ولكنه يصبح في شهر يوليو من  
كل عام ، أكثر من هتاف تمليه الغريزة .. ان جمال عبد الناصر يتحول  
اسمه في شهر يوليو من كل عام وكأنه الاسم الخاص لكل عربي .. لأن  
شهر يوليو هو شهر جمال عبد الناصر .. الشهر الحار الذي استعار  
حرارته من ايمان جمال عبد الناصر ، واكتسب شهرته في التاريخ  
بالاحداث الجسام التي صنعها فيه جمال عبد الناصر .. ودخل تاريخ  
العرب الحديث يوم اختاره جمال عبد الناصر ليوجه فيه ضرباته الحاسمة  
لاعلاء العرب ..

لقد قاد جمال عبد الناصر شعبنا ففضى على الاستعمار واخرجه من  
بلادنا ، وحقق بذلك حلما كان الكثيرون يعتقدون انه سيظل حلما الى  
الابد ..

وقبل ذلك قضى جمال عبد الناصر على النظام الملكي الفاسد وحاشيته  
من رجال القصر ورجال الاحزاب وسماسرة السياسة ..

ووجه عبد الناصر ضربته الى الاقطاع فأنقذ شعبنا من الاضطوط  
الذي عاش مثبات السنين يمتص دماء ..

وكان القضاء على تحكم رأس المال في الحكم خطوة حيوية ، فخطاها  
عبد الناصر بحزم وقوة ..

وتوج ذلك كله بانشاء جيش وطني ضخم ، وصناعة عربية متطورة .  
ومن خلال هذه الخطوات برزت الملامح الاولى للمجتمع الاشتراكي  
الديمقراطي التعاوني الذي دعا اليه جمال عبد الناصر ..

ان الاشتراكية هي صيحة هذا العصر كله ، ومصير القرن العشرين  
الى الاشتراكية بصورها المختلفة تبعا لاختلاف البلدان والشعوب ، ولهذا  
كان لا بد للأمة العربية من أن تضطلع بتجربتها الاشتراكية الخاصة  
لكيلا تتخلف عن التطور العام للجنس البشري في مرحلته التاريخية  
الجديدة ..

وفى الماضى القريب الذى سبق ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، كان السياسيون والزعماء العرب يتجاهلون الاشتراكية ، بل ويعتبرون مجرد النطق باسمها رجسا من عمل الشيطان ..

وكان لا بد للعرب من جمال عبد الناصر ، يقودهم فى طريق اشتراكيتهم .. وهى اشتراكية عربية اللحم والدم لا صلة لها بغيرها من الاشتراكيات التى تنبع من تقاليد غير تقاليدنا ، وتنبت فوق أرض غير أرضنا ..

ثم التفت عبد الناصر الى قضية الديمقراطية ، وكان لابد للديمقراطية كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر أن « تتلازم مع الوحدة الوطنية ، لأن المشكلة التى نواجهها هى : هل نكون أولا نكون ؟ .. وليس هناك مجال للخلاف ، ثم ان وجود أى خلاف فى هذه المرحلة كان معناه أن لا نكون على الإطلاق ، خصوصا والظروف الخارجية المحيطة بنا تتحفز لاستغلال أى خلاف .. ولم يكن الاتحاد القومى فى الواقع الا أداة لتحقيق الديمقراطية المتلازمة مع الوحدة الوطنية » ..

ثم يجيء دور التعاون فى المجتمع الذى يقود عبد الناصر عملية بنائه ، فيقول عنه : « لم يكن من المعقول مثلا أن تكون الاشتراكية هى مجرد تحويل الاجير الى مالك أرض ، وانما الاشتراكية الحقيقية تتأكد حين يواصل التعاون دوره بعد توزيع الأرض على مالكيها الجديد ، فيوفر له كل احتياجات الانتاج ، ويحميه من الاستغلال .. وكذلك الحال فى الصناعة » ..

وهذا النظام الاجتماعى الذى يرسمه جمال عبد الناصر ليس من اختراعه ، تماما كما قلنا عن «الوحدة» .. وكما قلنا عن الاتحاد القومى .. فان الوحدة هى منطق تاريخ العرب وجد تعبيراً عن نفسه على يد جمال عبد الناصر .. وكذلك الاتحاد القومى ، فانه منطق التاريخ العربى الجديد بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة .. منطق الديمقراطية المتلازمة مع الوحدة الوطنية ، كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر ..

وليس المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى مختلفا عن كل ما سبق ... فالواقع أن جمال عبد الناصر لم يخترع هذا المجتمع ، وانما اخترعته طبيعة تطورنا الاجتماعى ، باعتبارنا عربا لنا تقاليدنا وعقائدنا الخاصة ، كما أن لنا ظروفنا وامكانياتنا الخاصة

ان المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى هو - كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر - «التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة» .. وهذا المجتمع هو أيضا كما يقول الرئيس «ليس اختراعا نفرد به .. وانما هو التطور الطبيعى الى مداه» ..

وتجربة هذا المجتمع - بكل مؤسساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية - سيكون نجاحها دوى فى العالم كله ، وأهمية تاريخية كبرى بالنسبة لبلادنا وبالنسبة للأمة العربية كلها ، بل وبالنسبة لشعوب

**أفريقية وآسيا التي بدأت تتحرر من الاستعمار وتسير في طريق التطور المستقل .**

لقد قطعت دعوة عبد الناصر - حتى الآن - عشر سنوات . . ولم يحدث في التاريخ ان كانت عشر سنوات فقط مليئة بالاعمال الثورية مفعمة بالتحويلات الجذرية ، كما حدث خلال السنوات العشر التي اكتملت من حياة الثورة العربية الاشتراكية الديمقراطية بزعامة عبد الناصر وقبل ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كانت « القومية العربية » خيالا غامضا يداعب بعض الكتاب والشعراء والسياسيين الجدد والقدامى في البلاد العربية .

وفيما يختص بالقومية العربية في مصر ، كان الاحتلال البريطاني ومن قبله الاحتلال العثماني ، وعملاء البريطانيين والعثمانيين ، قد نجحوا الى حد كبير في عزل مصر ، وهي قلب العالم العربي عن العالم العربي .

وَمَعَ أن الشعب المصري كان يصف نفسه دائما بأنه « ابن عرب » . . الا أن العرب في البلاد الشقيقة لم يكن لهم اتصال عملي بمصر . . كانوا هم أيضا منعزلين ، وأوشك مفهوم العروبة أن يقتصر على قيام دولة تضم العراق وجزيرة العرب والشام فقط .

وكان رجال الثورة العربية خلال الحرب العالمية الاولى بزعامة الشريف حسين يتصورون مملكة العرب في المستقبل ، بغير مصر ، وبغير فلسطين ولبنان . . ولم يخطر على بالهم قط شمال أفريقيا العربي ، والسودان العربي .

لقد كانت فكرة « القومية العربية » مشوهة وناقصة وغير صحيحة . كانت فكرة زعماء تسيطر عليهم أفكار القرون الوسطى وتسيرهم أهواء الاستعمار العالمي .

ثم جاءت ثورة يوليو المجيدة ، فوضعت هذه الافكار الخاطئة عن القومية العربية ، في متحف التاريخ البالي ، وأخرجت من واقع حياة الامة العربية المعاصرة ، ومن وقائع تاريخها العظيم الحالد ، عناصر الكفاح من أجل القومية العربية ، من المحيط الى الخليج .

وبطبيعة الحال ، لم يكن ممكنا أن يكافح عبد الناصر ورفاقه من أجل القومية العربية بمفهومها الصحيح ، بالأساليب التي « كافح » بها الشريف حسين وزمرة من أجل هذه القومية .

لقد كان « كفاح » الشريف حسين فرعا من التدابير الاستعمارية لتقسيم مناطق النفوذ في العالم العربي . . فكانت ممالك الهاشميين تحت رعاية النفوذ البريطاني . . في حين انضوت ممالك عربية أخرى تحت رعاية نفوذ استعماري آخر .

أما كفاح عبد الناصر ، فقد استهدف قبل كل شيء قهر الاستعمار ومقاومة مناطق نفوذه ، وطرد هؤلاء النفوذ خارج مصر ثم خارج العالم العربي . .



وكان طرد الاستعمار ، هو الخطوة الاولى من أجل القومية العربية بمفهومها الجديد الصحيح .. أما الخطوة الثانية فكانت بناء المجتمع العربي الجديد الذى يكون بمثابة مضمون اجتماعى للقومية العربية ..

وحول هاتين النقطتين : طرد الاستعمار واقامة مجتمع عربى جديد ، ثار النزاع بين عبد الناصر من جهة وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية من جهة أخرى .

ان الرجعيين مستعدون لاقامة وحسدة شكلية تجمع العروش والقصور وملوك المال والارض فى صعيد واحد باسم القومية العربية .. وتحت أقدام هؤلاء الطغاة يجثو الملايين من أبناء الشعب العربى من محيطه الى خليجه ، باسم القومية العربية أيضا .

وكان العدوان الثلاثى فى ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٦ ذروة الصراع حين ذاك بين الاتجاه الشعبى بقيادة جمال عبد الناصر من أجل قومية عربية تقدمية ، وبين الاتجاه الاستعمارى الرجعى الذى يضم الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية ..

وعندما انهزم العدوان الاستعمارى الصهيونى ، كان معنى هزيمته ان الرجعية العربية أيضا قد انهزمت فى معركة من أكبر المعارك الحاسمة فى تاريخ النضال العربى .

وضعف مركز الاستعمار والصهيونية فى الشرق العربى .. وضعف - بالتبعية - مركز الرجعية العربية ، وارتفع المد الثورى الشعبى فى البلاد العربية كلها ، وكان أقصى ارتفاعه فى سوريا حيث فرض الشعب السوري ارادته فى فبراير عام ١٩٥٨ أى بعد خمسة عشر شهرا فقط من انتصار بور سعيد على العدوان .. وقامت الجمهورية العربية المتحدة من سوريا ومصر كحقيقة تاريخية فى نضال الامة العربية ترتبت على الحقيقة التى تمثلت فى انتصار مصر على العدوان الثلاثى ، بعناصره الاستعمارية والصهيونية والرجعية !

وهكذا لم يعد انتصار العرب على العدوان الثلاثى ، مجرد انتصار عسكري وسياسى أحرزته دولة عربية واحدة ، بل تحول الى انتصار قومى واسع ، شمل جميع الاقطار العربية وعبر عن نفسه بقيام دولة عربية موحدة لأول مرة فى التاريخ العربى الحديث ..

ولكن هذا الانتصار العظيم البعيد المدى ، لم يكن فيه القضاء التام على الاستعمار والصهيونية والرجعية وكان واضحا أن هذا الثلاث المعادى للامة العربية ، يستجمع قواه للقيام بهجوم مضاد يسترد به بعض الاراضى التى فقدتها .. ويتيح لنفسه فرصة جديدة للبقاء فترة أخرى ، قبل أن تقضى عليه حتمية التاريخ فى النهاية .

وكان قيام الحركة الانفصالية الرجعية فى سورية منذ شهور ثمرة الهجوم المضاد العنيف الذى تركزت فيه قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية الى أقصى حد ، وهاجمت النقطة التى كانت ما تزال تنوء ببقايا جيوب الرجعية وعملاء الاستعمار ، وأوگار أعداء القومية العربية ..

ومع ان الهجوم الاستعماري الصهيوني الرجعي المضاد ، قد ربح جولة في سورية .. فان النصر النهائي لا تقررته معركة واحدة ولا تقع النكسة التامة بسبب خسارة واحدة في معركة بمفردها . وهذه الحقائق يعرفها حتى الاستعمار والصهيونية والرجعية . ولهذا يتحفظون بينهم وبين أنفسهم في ابداء الفرح والثقة بما حدث في سورية .. ويمدّون أبصارهم في تخوف شديد الى رد الفعل .. وهم يعرفون أن بناء مجتمع عربي اشتراكي يضع مضمون القومية العربية على صعيد الحياة الاجتماعية ، سيكون أكبر لطفة يرد بها عرب الجمهورية العربية المتحدة الآن على المؤامرة الاستعمارية الرجعية في سورية .

لقد كانت أمنية الاستعمار والصهيونية والرجعية ، أن يكون رد عبد الناصر على ما حدث في سورية ، حملة عسكرية ، ودماء عربية تصبغ وجه الارض .. ولكن عبد الناصر رد عليهم بالمضى في بناء المجتمع العربي الاشتراكي .

وهكذا اندفعت في مصر عجلة العمل الثوري بأقصى قوتها وسرعتها . والثورة العربية في مضمونها الاجتماعي ، هي ثقل حياة الانسان العربي من القرون الوسطى الى النصف الثاني من القرن العشرين .

وليست هذه النقلة مجرد التحول من عصر الى عصر .. من عصر البعير والحصان الى عصر الذرة والصواريخ ، وانما هي نقلة من الظروف الاجتماعية والفكرية والنفسية التي يصنعها الآن كل شعب نقض عن نفسه نير الاستعمار والاحتكار الرأسمالي .

لقد استنفدت الاساليب الرأسمالية أغراضها وأفلست تاريخيا ، وهي تتلمس الآن ، حتى في قلب العالم الرأسمالي مخرجا من أزمتها الملاحقة .

وكما أن القومية العربية الثورية رفضت المضمون الاجتماعي الاقطاعي ، فانها رفضت المضمون الاجتماعي الرأسمالي . أي أن القومية العربية الثورية رفضت الرجعية على طريقة القرون الوسطى كما رفضت الرجعية على طريقة الدول الاستعمارية التي ما زالت تعيش ..

ومن الجدير بالذكر هنا أن القومية العربية في تاريخها الطويل قد رفضت المضامين الاجتماعية البالية على مر العصور ..

ففي صدر الاسلام ، رفضت القومية العربية ، من خلال العقيدة الاسلامية كل مضمون عبودي .. وكانت العبودية هي المحتوى الاجتماعي السائد حين ذاك في مجتمعات كسرى الفارسي وقصر الرومي ، ومجتمعات الهند والصين .

وفي انعصور الوسطى حينما سادت النظم الاقطاعية ، كان واضحا تماما أنها مخالفة للتفكير العربي وكان السلاطين والاقطاعيون الذين حكموا البلاد العربية في العصور الوسطى من جنسيات غير عربية ، وكانت

أفكارهم انتى فرضوها على ألامة العربية والاسلامية ، أفكارا مستوردة من خارج الفكر العربى والوطن العربى .. وكانت فى مجموعها مخالفة لتعاليم الدين الاسلامى .

وفى العصر الحديث ، عصر الرأسمالية .. حاول الرأسماليون العرب ، بالتحالف مع الاقطاعيين العرب اقامة كيان عربى رجعى ، يحقق مصالحهم ، ويدوس مصالح الشعب العربى ، ولكن هذا التحالف الرجعى لم يستطع أن يعيش فى ربوع العرب الا مستظلا براية الاستعمار ..

ولهذا السبب تمضى الثورة العربية بقيادة جمال عبد الناصر لتحقيق محتواها الاجتماعى التقدمى الذى يتعارض مع الاقطاع ، ومع الرأسمالية ، فضلا عن تعارضه الجاسم مع الاستغلال الاستعمارى .

والذى يجرى اليوم فى مجتمعنا بمصر ، انما هو تحقيق عملى لثورية المضمون الاجتماعى للقومية العربية ..

والاشتراكية هى التعبير العملى عن هذا المضمون .. وهى أساس جميع التحولات الاجتماعية التى ستتم فى بلادنا خلال السنين القادمة لتجعل كل شىء فى البلاد ملكا خالصا لاصحاب البلاد ، وهم العمال والفلاحون والمثقفون والملاك الصغار والحرفيون ، وجميع من يعملون ويكسبون بعرقهم وكفاحهم ، لا باستغلال جهود الآخرين .

وقد كان مقربا من قبل أن تندفع جمهوريتنا فى تنفيذ هذه القوانين الاشتراكية ، ثم وقعت الحركة الرجعية فى سوريا بقيادة أعداء الاشتراكية ، فظن أعداء القومية العربية أن قادة الثورة فى القاهرة ، سيترددون فى تنفيذ القوانين الثورية وبناء الاشتراكية فى مصر .

ولكن الذى حدث هو العكس تماما .. اندفعت عجلة الثورة بكل قوتها تبنتى الاشتراكية وتضع القوانين الثورية موضع التنفيذ ، بإرادة الشعب كله بعماله وفلاحيه ومثقفيه وفئاته الواسعة الاخرى التى تجد مصباحها كلها فى بناء الاشتراكية

وهذا دليل على أن « الاشتراكية » لم تكن صيحة دعائية فى بلادنا ، بل كانت وستظل دائما مضمونا ثابتا لقوميتنا العربية .

والحماسة التى قابل بها شعبنا اندفاع عجلة البناء بكل قوتها تدل بوضوح على أن الشعب العربى فى مصر يعى دوره الثورى تمام الوعى وأنه يتمتع بيقظة ثورية ، وطاقه خلاقة ، وتصميم على البناء .. هذه المزايا الشعبية كلها سيضعها الشعب بل لقد وضعها بالفعل ، فى خدمة البناء الاشتراكى بقيادة يطل الاشتراكية العربية جمال عبد الناصر .

واذا كان الشعب هو البانى الأكبر لصرح الاشتراكية ، فانه لا يستطيع أن يتمكن من بنائها بسرعة ، الا اذا تسلم بمنظوماته الثورية الاشتراكية التى تضم القاعدة الثورية وقيادتها بمستوياتها كلها .

وفى خلال العمل الثورى للاشتراكية سيصادف الشعب بعض العوائق والصعاب .. بل وبعض المؤامرات التى تحاول تدمير عمل

وما معنى نجاح بناء الاشتراكية فى بلادنا ..

ان معناه ان بلادنا العزيزة ستثبت عمليا ان المضمون الاجتماعى للقومية العربية ، مضمون ثورى تقدمى .. مضمون اشتراكى ، وليس مضمونا رجعيا كما يريد له الرجعيون والاستعماريون

ومعنى بناء الاشتراكية فى بلادنا أيضا أن يظهر لأول مرة فى التاريخ ، الانسان العربى الاشتراكى .. الانسان المتحرر السعيد الذى يتمتع بأقصى حاجاته من خيرات الحياة وهنائها

وشعبنا وهو يبنى الاشتراكية الآن ، يدرك مضاعب البناء ولكنه يعلم يقينا ان هذه المضاعب ، ستصبح فى ذمة التاريخ عندما يرتفع صرح الاشتراكية العربى شامخا ، أمام أنظار العالم كله .

اننا الآن نبني الاشتراكية : أى أننا نبني السعادة لأنفسنا ولأولادنا والأجيال العربية القادمة ..

وبقيادة جمال عبد الناصر التى قهرنا بها أعتى عنوان عسكرى وسياسى وقع بعد الحرب العالمية الثانية ، سنقهر كل عنوان جديد ، يأتينا من الاستعمار ، أو من الرجعية ، أو منهما معا ..

وبقيادة جمال عبد الناصر ، سننتصر فى معركة بناء الاشتراكية .. من أجل حياة أفضل لكل أبناء هذا الشعب العظيم ..

\*\*\*



وبعد ..

ان الصورة المصغرة للعلاق الكبير لا تعطي دائما كل ملامحه  
وخصائصه ..

وهذا ما يصلق بوجه خاص على الرئيس جمال عبد الناصر ..  
ففي عشر سنوات فقط أصبح عبد الناصر رمزا للامة العربية كلها ،  
وأصبح شخصية دولية ضخمة ، وأصبح رجل سلام مسموع الكلمة ،  
وأصبح بطلا تحريريا تهتدى به شعوب آسيا وافريقية في نضالها التحرري  
المجيد ...

وفي عشر سنوات فقط ، نفذ عبد الناصر برنامجا الداخلى الذى بدأ  
بطرده الملك وانتهى بطرد الاحتلال العسكرى والاقتصادى وتحرير الشعب  
من الاقطاع وسيطرة رأس المال ، ثم بدأ صفحة جديدة بالغة الاهمية ، هي  
صفحة المجتمع الديمقراطى الاشتراكى التعاونى الذى يحقق به عبد الناصر  
للجمهورية العربية المتحدة ، مجتمعا متكاملا متحررا من آفات المجتمعات  
القديمة المعادية للشعب وحقوقه وكرامته وتطوره .

وتجربة هذا المجتمع - بكل مؤسساته السياسية فى العالم كله ،  
له اهمية تاريخية كبرى بالنسبة لبلادنا وبالنسبة لشعوب افريقية وآسيا  
التي بدأت تتحرر من الاستعمار وتسير فى طريق التطور المستقل .

وهذه الصفحات التى مضت لا تستطيع ان تعطي اكثر من صورة  
مصغرة جدا للعلاق عبد الناصر .. والصورة المصغرة كما قلت لا تعطي  
فكرة كاملة عن حقيقة العلاق .. وهذا الحديث عن الرئيس ليس سوى  
حديث عام ، يعطي فكرة عامة ، أما عبد الناصر العلاق الذى صنع معجزات  
ضخمة مذهلة .. فدعنا نقل لك أننا لا نستطيع ان نحدثك عنه حديثا  
وافيا .. ولا ان نستطيع ان نعطيك عنه فكرة كاملة ..

أن المرء ينظر الى الشمس بجزء من عينيه ، ولا يستطيع ان يحلق  
فيها بملء عينيه .. ونحن العرب نعتقد - بدون محاباة للرجل الذى  
تحبه - أن شمسنا تبهر كل عين ، وأن استيعاب خصوصياتها كله فوق طاقة  
العيون ..

ولكن التاريخ فقط يستطيع ان يفتح عينيه جيدا ، ويتأمل جمال  
عبد الناصر .. ويرى ما صنعه لشعبه فى عشر سنوات مرت كأنها عشرة  
أيام ..

وحسبك من كل ما صنعه عبد الناصر .. هذا المجتمع الجديد الذى  
نعيش فيه .. المجتمع الذى جعلنا نعيش لأول مرة منذ عدة آلاف من  
السنين .. فى ظل الكفاية .. والعدل .. والمساواة

## فهرس

صفحة	الموضوع
٣	هذا العملاق
١٣	من أجل اشتراكية عربية خالصة
٢٥	المعركة ضد الاستعمار
٣٧	شخصية البطل وميثاق الشعب
٥٥	قصة الوحدة
٦٩	بطل السلام
٨٥	الصراع مع الرجعية

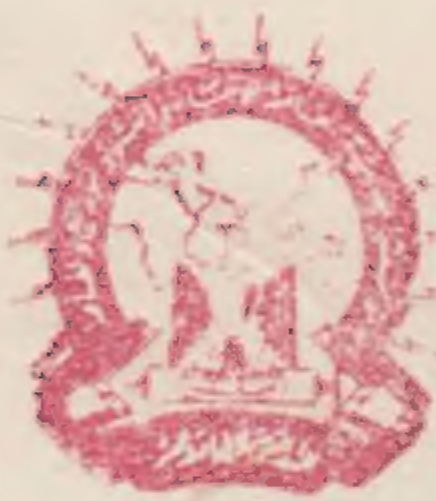
الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبید - روض الفریح

تلیفون : ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٠ - ٣١٦٣٥







١٥٧ شارع عبید - روض الفرج  
تليفون : ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥



العدد ١٦٧

Bibliotheca Alexandrina



0681860